جينالوجيا النص من نسق المحايثة إلى بنية التشكيل أخلاقيات زهير من جوانب النفعية إلى المعيارية

د. إيمان عصام خلف كامل (*)

ملخص باللغة العربية

لقد حمل الربع الأخير من القرن الماضي كثيرا من الدراسات ذات الأطر المنهجية المتقاربة أحيانا والمتباعدة أحيانا أخر، بيد أنها "أي الدراسات" أظهرت أنماطًا جديدة لرؤى وأفكار متقدمة ارتبطت بثقافات جديدة ولم تكن مألوفة لواقعنا الشرقي وثقافتنا العربية، كأنثروبولوجيا الديمقراطية، وأنثروبولوجيا المواطنة..

وبتنوع الثقافات نتجت مسافة فاصلة وهوة بين المنظور الاجتماعي للفاعل والحقيقة، لذا أصبحت المعرفة لهذا التشكل الاجتماعي مطروحة أمام الفاعل والملاحظ، ومن هنا يتطلب منا تحليل المعاني التاريخية كافة المجسدة للمفهوم التاريخي، لبيان أثر ذلك ومدى ربطه بالواقع النقدي والثقافي والقيم المجتمعية وما نتج عنه من واقع جينالوجي.

ونحاول في هذه الدراسة قراءة التراث العربي للخروج بمضامين جديدة، تبرهن على إنسانيته، ومدى ارتباطه بالشعور النفسي، ومدى ما حققه العربي القديم من أبعاد فلسفية واجتماعية إذا ما قيست بحضارات أخرى في وقتها.

الكلمات المفتاحية:

الثقافة – الاجتماع – الجينالوجيا- التاريخ- المواطنة- الحضارة.

(*) كلية دار العلوم – جامعة المنيا

Text Genealogy from Ideology to Structure Zuhair's Morals from Pragmatism to Standardization

Abstract:

The last quarter of the last century witnessed many studies with methodological frameworks that were sometimes close and sometimes divergent, but they showed new patterns of visions and advanced ideas that were linked to new cultures and were not familiar to our Eastern reality and our Arab culture, such as the anthropology of democracy and the anthropology of citizenship.

With the diversity of cultures, a gap resulted between the social perspective of the action and the objective, so knowledge of the social formation of both became necessary. Hence, it is required to analyze all the historical meanings that embody the historical concept, to show the impact of this and the extent of its connection to the critical and cultural reality, societal values, and the resulting genealogical reality.

In this study, I try to read the Arab heritage to come up with new visions that prove its humanity, the extent of its connection to psychological feeling, and the extent to which the ancient Arabs achieved philosophical and social dimensions compared to other civilizations of that time.

Keywords: Culture, sociology, genealogy, history, citizenship, civilization.

أما قبل:-

تشكل الممارسات النقدية تجاه النص الشعري شكلا من أشكال الديناميكية التي لا تتوقف عن حدود الجوانب التاريخية، بل تقفز عبر المستجدات الحضارية والتنوع الثقافي لتقدم حراكا جديداً يستتبع الوقوف عنده، والنظر إليه عبر وشائح من التداخلات الفنية التي تفرق بين الواقع والمأمول.

وعبر هذه التحولات والمتغيرات النقدية، أضحى العمل النقدي شكلاً من أشكال الممارسة االلامنهجية، بل القمعية تجاه النص.

فكل ممارسة نقدية للنص تشكل نمطا من انماط القمع الناتج عن التمسك بوجهة نظر أحادية تجاة النص.

وأمام التعدد اللانهائي لهذه الممارسات النقدية جاءت فكرة القطعية مع النقد لما شابه من تعقيدات، وتحول بفعل الحداثة إلى لغز يحتاج إلى فك شفراته، والبحث عن دلالاته، وتنوع معانيه، وتعدد رموزه.

وتطلب التعامل مع النص معرفة منهجية مرتبطة بكل الأبعاد التاريخية والتحولات الفكرية.

وأمام التسارع الفكري، والتحولات المفاجئة بكل أشكالها النقدية وآفاقها اللامحدودة، تعقدت المسائل النقدية، وتحولت الأنساق الكيميائية في العلاقة بين المبدع والمتلقي إلى أشكال فيزيائية مرتبطة بأشكال وأرقام، تقوم على تحليلات ومتخيلات نقدية تعمد إلى قراءة النصوص عبر أنماط ورؤى عقدت النقد في زمننا المعاصر.

وبدأت ملامح الغربة تظهر وجهًا قبيحًا عند دراسة بعض النصوص، وبدأ النظر إلى النص في كل مراحله التاريخية يأخذ جانباً من الشك والريبة عند النظر إليه، وازدادت المغامرات اللامتناهية التي تخطت كل الحواجز والأطر، وبدت الصورة نصًا للقراءة والتأويل.

وبصورة أكثر فاعلية، فإن كل هذه النظريات متقاربة أو متباعدة حاولت أن تفرض سلطة ما للقراءة باعتبارها ذات صلة وثيقة بالنص، وبكل توجهاته، عبر فروض واشتراطات مما جعل كل ناقد مؤمن بهذا التوجه النقدي مُقَيَّدًا داخل هذه الشبكة السلطوية، حتى أضحى العمل النقدي عبارة عن آليات وأطر وضعته في إطار أقرب إلى اللوحة المشكلة ومرتبة ترتيباً تشكيليًا، وأصبح الولوج إلى عالم

النص يعتمد على النظر إلى هذه اللوحة ومعطياتها في المقام الأول، انطلاقًا من محاولة الكشف عن العلاقة بين الدال والمداول.

بيد أن التحولات النقدية فى الآونة الأخيرة، أوصلت التخيلات النقدية إلى مسألة القطيعة عما سبق، فبدا النقد باهتًا، مما دفع النقاد في زماننا هذا إلى محاولة الربط بين النقد والعلوم الآخرى كي يستعيد بريقه ولمعانه، معتمداً على النظريات الفلسفية، وما شاكلها من نظريات اجتماعية، وربط كل هذه النظريات بتيارات فكرية، ومجالات أخرى قد تبدو متباعدة، إلا أنه ألبسها ثوبا **قشيبا** ليستفيد منها في نظريته التي يسعى إلى استخدامها في نقد النص أيا كان ذلك النص شعريا أم روائيا.

ومن أمانة العرض فإن هذه النظريات على تقاربها أو اختلافها حاولت التعامل مع النص في ضوء فرضيات ومعطيات أرتأت صوابها في زمنها، وكل هذه النظريات في تفسيرها ونقدها للنص على أقوال متضاربة أو متقاربة، قدمت فكرا أدى إلى ثراء الحركة النقدية.

ومع تطور المناهج النقدية وتعدد اتجاهاتها فوجئنا بقطيعة مع الماضي أدت إلى إهمالنا لتراثنا وتاريخنا، على الرغم من **اعترافنا** بما للتراث والتاريخ من قيمة، لكننا وللأسف أقحمنا تراثنا القديم في كل توجه نقدي، محاولين بكل الأشكال التأثير على المتلقى بعظمة القديم وهو ما يعد فشلا تاما في الاستفادة من الماضي فأدى ذلك إلى تواضع حاضرنا وتقوقعنا، وانعكس ذلك على وعينا المعاصر، فقد حملنا النقيضين في آن واحد، فمرة نستخدم ذلك التراث للبرهنة على قيمة فكرنا القديم ومدى استشرافه للمستقبل، وتارة أخرى نستخدمه للوقوف والبرهنة على عجزة في مسايرة النهضة النقدوية، وأصبحنا نتأرجح بين الماضي والحاضر.

وقد تناسينا أن الحراك الثقافي في المدارس الغربية، والذي نَلْهث خلفه محاولين فهمه واللحاق به، قد انطلق من إعادة فهم التراث والتاريخ القديم.

فما تحجر الأمم إلا عبارة فشلها في فهم صيرورة ثقافتها وتاريخها، مع البعد عن تلك الصفة التقديسية لكل ما هو تراثي أو قديم، ومن البديهي أن نسلم بأن قراءة التاريخ الثقافي القديم للبيئة العربية يعد أمرا صعبا، لكثرة ما به من أحداث ووقائع وتحولات أثّرت في مسيرة الثقافة العربية بكل توجهاتها.

وعليه فإننا نحاول قراءة التراث العربي للخروج بمضامين جديدة، تبرهن على إنسانيته، ومدى ارتباطه بالشعور النفسي، ومدى ما حققه العربي القديم من أبعاد فلسفية واجتماعية إذا ما قيست بحضارات أخرى في وقتها.

وإذا كانت الثقافة والأدب نتاج البيئة فإنه من المؤكد أن الناقد هو ابن هذه الثقافة بكل توجهاتها الحقيقية والأسطورية والمجازية التي شكلت وجدانه ووعيه الحضاري.

أما بعد:

جاءت الحداثة بكل نظريتها النقدية لتؤصل لنمط جديد من التعامل النقدي مع النصوص، وأتت نظريات (ما بعد الحداثة) بكل توجهاتها السيميائية وقوالبها الحجاجية لتقلب الموازين المنهجية.

ولعل آخر ما وقف عنده الدرس النقدي هو ما يسمى (بالنقد الجيني)، ذلك النقد القائم على مساءلة كل شيء. فمنذ أن "ألف نيتشه كتابه المعنون بـ "جينالوجيا الأخلاق" وأصبح العِلْم يعني بالسؤال عن أصل القيم الأخلاقية ونشأتها، أي علم أنساب المفاهيم والأفكار، وأن هذه الأفكار والمفاهيم ذات طابع نسبي. ومن ثم أصحبت الجينيالوجيا أداة نقدية مثلها مثل غيرها من المناهج النقدية الحديثة، ثم أصبحت الجينيالوجيا توجها نقدياً، أو قل منهجا نقديا مكَّن له فلاسفة كبار من أمثال نيتشه في القرن التاسع عشر وفوكوه في القرن العشرين. (١)

وما دراستنا هذه إلا محاولة للوقوف على مفهوم الجينالوجيا، وأبعادها، وكيفية تطبيقها على جوانب من تاريخانية مجتمعنا العربي عبر نصوصه ونقده، وهي دراسة في المقام الأول تكشف عن جوانب أخلاقية ترتبط بالمفاهيم الجينيالوجية من خلال عاملي "التاريخ والدين".

(١) ما الجينيالوجيا – مارك بيفر – ترجمة وتقديم أحمد الشيمي – مجلة فصول – المجلة (١/٢٧) العدد (١٠٥) – ص ١٥ – شتاء ربيع ٢٠١٩ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر – ٢٠١٩م.

فهي دعوة كما قال " مارتن هيدجر" (١٨٨٩ – ١٩٧٦) لتأمل حقائق الأفكار، من خلال ما أفصح عنه في كتابه "الهوية والاختلاف في عام ١٩٥٧".[١]

حيث اعتمد في منهجه عن طرح لامتناهٍ من الأسئلة، التي تتخلل بداخلها مجموعة من الأسئلة الأخرى في سلسة لا تنتهي من الطرح والتفكيك.

وفي كل طرح سرعان ما يعود "مارتن هيدجر" إلى إلغاء كل الأسئلة ليفرض لنا أسئلة جديدة.[٢]

فهو في سلسلة دائمة من التساؤلات التي لا تتوقف عند حد ما أو حقيقة ما، وهو يذكرنا -كما طرح "خليل مطانيوس سارة" بالأسطورة اليونانية القديمة "ثوب بينولوبي" تلك الأسطورة التي قامت فيها بينولوبي بصنع ثوب بالنهار وتفككه بالليل.[٣]، لذا فإن هيدجر يصنع ذلك في شكل لا نهائي.

ومع سياسة البناء والهدم، والجمع والتفكيك التي مضى عليها مارتن هيدجر، وسلفة نيتشه، تدرك أن فكرة الأساس فكرة لا وجود لها على الإطلاق، وأن كل شئ يخضع لمعيار الهدم والبناء، وأن الثوابت ما هي إلا مزحة تاريخية لا وجود لها، وإنما كل شئ يخضع.

لفكرة الكشف عن دوافعه وأسبابه المرتبطة بثقافة المجتمع وما يرنو إليه.

وهذا يعني أن فكرة التأويل فكرة لا نهائية يستحيل الوقوف عندها عند أمر ثابت أو حقيقة أو أصل، وعليه فلا يمكن لمؤول ما أن يركن إلى ما وصل إليه من تأويل، أو يصرح باحتكاره وحده للتأويل الحقيقي أو الصحيح.

---

(٢) لمزيد من التوضيح انظر:
جينالوجيا الدين الضبط وأسباب القوة في المسيحية والإسلام – تأليف طلال أسد – ترجمة محمد عصفور – ص ١١ – دار المدار الإسلامي – ليبيا ٢٠١٧ وانظر مراجعة الكتاب – لمني زاهد سويلمي – مركز هرمون للدراسات المعاصرة – الدوحة – قطر – ٢٠١٧م.

(٢) انظر في ذلك:
الفلسفة الهوية والذات – مارتن هيدجر – ترجمة د محمد مزيان – مراجعة د محمد سبيلا – الطبعة الأولى – ص ٤١ وما بعدها – منشورات الاختلاف – الجزائر - ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م.

(٢) انظر الأسطورة وحكايتها في:
تاريخ الإغريق – خليل مطانيوس سارة – ط١ – المجلد الأل – ص ١٧١ – دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع – سوريا – ٢٠١٧م.

"فليس هناك في نهاية المطاف إلا الدال ولا نصل أبداً إلى وضعية أصلية للمدلول".(١)

فالدال قد ينتج مجموعة من الدوال أو المدلولات التي لا حصرلها.

مدخل

ازدحمت الأفكار، تدفع بعضها بعضا، كيف أبدأ هذه الدراسة، فهي من حيث المنهجية دراسة جديدة، وقد تواجه كثيرا من النقد على نسقين متجاورين، أما أولهما فهو النقد لها عقب إتمامها، وأخرهما القلق من الخوض في غمار الثوابت الفكرية وزلزلتها بما ينتج أثرا عكسياً على الدراسة وما ترمي إليه.

ومن ثم تأتي صعوبة المقدمة، فما الحجج التي سأقدمها للقارئ لتلقي هذا العمل، فالمقدمة هي مركز استقطاب وإشعاع للمتلقي، بل إنها هي المصدر الأساسي لتحديد ضوابط البحث ومنهجيته، بل هي البرق الخاطف للبصر عبر إشارة بليغة لقيمة العتبات وأهميتها في شتى المجالات.

وغير خاف أنها أصبحت اختبارًا حقيقياً لقيمة الدراسة؛ لاشتمالها على المعني والمغزى، ورمزية ومرموزية الدراسة على وجه الخصوص.

لقد حمل الربع الأخير من القرن الماضي كثيرا من الدراسات ذات الأطر المنهجية المتقاربة أحيانا والمتباعدة أحيانا أخر، بيد أنها "أي الدراسات" أظهرت أنماطًا جديدة لرؤى وأفكار متقدمة ارتبطت بثقافات جديدة ولم تكن مألوفة لواقعنا الشرقي وثقافتنا العربية، كأنثروبولوجيا الديمقراطية، وأنثروبولوجيا المواطنة.. الخ ذلك من هذه الموضوعات وأمام هذه الثقافات المتنوعة نتجت هذه المسافة الفاصلة والهوة بين المنظور الإجتماعي للفاعل والحقيقة، لذا أصبحت المعرفة لهذا التشكل الاجتماعي مطروحة أمام الفاعل والملاحظ، إلا أنه لا يتاح للأخير "الملاحظ" إلا عبر "الأول الفاعل" فهذا الأمر يتطلب منا تحليل المعاني التاريخية كافة المجسدة للمفهوم التاريخي، لبيان أثر ذلك ومدى ربطه بالواقع النقدي والثقافي وما نتج عنه من واقع جينالوجي.

(1) Lucferry- Lapensee 68, Essais Sur L,anti – humanism Contemporain, Paris, Gallimard. 1985. P45. Ent.

ومن هذا المنطق فإن الحياة – كما يرى جابرييل جارسيا ماركيز – ليست ما يعيشه أحدنا.. وإنما هي ما يتذكره، وكيف يتذكره ليرويه.

فنحن في زمن تتسارع فيه نظريات النقد واللغة الوافدة من الآداب الأخرى، فهذه النظريات أصحبت الشغل الشاغل للنقاد فتشاغلوا بها، وأصبحت تداعبهم، وتعبث بأفكارهم تارة، وتعلمهم تارة أخرى، وفي أحايين كثيرة تضللهم وتربكهم، بل إنها قد تتحول إلى وسيلة من وسائل الضغط على شتى مناحي فكرهم وتشكيل وعيهم، ومواقفهم، وَجُلَّ آرائهم.

الجينالوجيا المعنى والمغزى:

منذ فترة طويلة أتابع تطور مسيرة النقد على المستويين العربي والغربي، بل إن فضولي دفعني لقراءة وتتبع التطور السياسي والعسكري عند كافة الدول.

وتطلب الأمر المتابعة عن كثب لحروب الجيل الرابع بكل معاييرها وتوجهاتها التي لا تخلو من الهدم والتغيير، وتحويل البنيات الكبيرة إلى بنيات وجزيئات صغيرة، وهدم المجتمعات الكبرى وتحويلها إلى دويلات صغرى، تسهل حركة السيطرة عليها.

وبدأنا نسمع عن مصطلحات لم تكن مألوفة لنا من قبل "كالبرجوزاي، والامبريالي، والراديكالي، واليميني، واليساري، والعنصري – والإرهابي – والاستعماري، وما بعد الاستعماري.. الخ ذلك. من المصطلحات التي لها قدرة هائلة على ممارسة الهدم والقسوة والتدمير.

وأصبح مبدأ الفوضى الخلاقة هو التعبير عن الثورات، والهدم هو إعادة للبناء، وأن التحطيم هو مبدأ الأساس السليم وأصبحت الوحشية الجماعية وسيلة لاستخدام العنف والقسوة ضد مؤسسات الدول بوجه عام.

ونتج عن ذلك ظهور حركات إسلامية راديكالية في الشرق الأوسط، كما لاحظنا في إيران، ومصر، وبلاد الشام، والمغرب العربي، وسعت هذه الحركات التي ادّعت في البداية عداءها للغرب – وهي عكس ذلك – للسيطرة على مقاليد الحكم في البلاد، وما استتبع ذلك من هدم لكل الثوابت، وتحطيم لكل الأسس التاريخية، ومحاولة فرض واقع جديد، يعتمد على استخدام الثنائيات التي تفيدهم في المقام الأول دون اعتبار لمقومات دولة وتاريخ وحضارة لآلاف السنين، وعليه

جاءت فكرة البحث في الجينالوجيا وما ترمى إليه، وهو ما دفعنى إلى طرح مفهوم الجينالوجيا في هذا البحث.

ما الجينالوجيا؟

هل الجينالوجيا تتمثل في نقد الأفكار والممارسات التي تشير بالاحتمال في الحياة البشرية خلف منظورات لا تاريخية أو تطورية..؟[١]

وهل النقد الجينالوجي يعتمد على أن كل شئ مجرد احتمال، من منطلق أن التاريخ ومعتقداته وأفكاره هي مجرد احتمالات، **وهل العرب لديهم ما يُسَمى بالجينالوجيا؟** أم أنها فكرة ورادة من الغرب ككل الأفكار التي نقرأها في زمن المعاصرة..؟

وإذا كانت الجينالوجيا عند العرب معلومة، فهل مغزاها هو نفس المغزي الوافد إلينا من الغرب؟

لابد أن نسلم أولا أن الإجابة على مثل هذه الأسئلة يتطلب وقتاً طويلا من الكتابة والبحث في الأصول التاريخية والعقائدية، ولكننا سنحاول ترتيب أفكارنا والإجابة بصورة مقتضبة – دون خلل – عن كل ذلك.

فمع تطور البشرية، قدم لنا **"دارون"** كتابة الشهيرة **"أصل الأنواع"** ذلك الكتاب الذي أحدث ضجة كبرى وقت طرحه على الحقول المعرفية والثقافية[٢]

وأصبح البحث في الأنساب والدين من أهم المسائل، ومحاولة الوقوف على الأصول وتطورها، وملاحظة نسب الثابت والمتغير فيها، والحكم على حقيقتها أو خرافتها من أهم معايير البحث الجينالوجي، لكن قبل الولوج إلى المفهوم وتنوعه يجب أن نتوقف عند مفهومها العربي.

---

(١) جينالوجيا النص "ما الجينالوجيا" – مارك بيفر – ترجمة أحمد الشيمي – مجلة فصول – مجلد ٢٧ – الجزء الأول – ص ٢٣،٢٤، العدد ١٠٥ – شتاء – ربيع – ٢٠١٩م – الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر - ٢٠١٩

(١) في أصل الأنواع عن طريق الانتقاء الطبيعي – أو بقاء الأعراق المفضلة في أثناء الكفاح من أجل الحياة – نشارلز دارون – ترجمة إسماعيل مظهر – أكمل الترجمة د. محمود يوسف حسن – وتم نشرة بلغته الإنجليزية في نوفمبر – ط الناشرجون موزاي – ١٨٥٩م – وتم نشره بعد الترجمة تحت عنوان "علم الأحياء التطوري" – الناشر مكتبة النهضة – عدد صفحاته ٧٨٦ صفحه – بيروت – لبنان – ١٩٧٣م

الجينالوجيا العربية:-

عرف العرب ذلك النقد أو العلم، ولكنه كان علما قائماً على ذكر التاريخ بكل أوجهه وخاصة ما يتعلق " بالأنساب".

وهو علم وليس نقدا حتى يومنا هذا، فمسألة الأنساب عند العرب من أهم الثوابت والركائز في حياة العربي القديم والمعاصر.

فقد توقف العربي عند مفهوم الجينالوجيا بأنها ذلك العلم الذي يقوم على الاهتمام بأنساب القبائل والعشائر.[١]

وأورد العرب قولا منسوبا لرسولنا الكريم "ﷺ" يفيد ذلك، وهو قوله "تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإنه صلة الرحن محبة في الأهل، مشراة في المال، منسأة في الأثر.[٢]

ومن المعلوم أن العرب اهتموا اهتماما بالغا بالأنساب، فالقبلية هي طابعهم، وأساس وجودهم، ومعرفة فروعها وأفخاذها وأماكن تواجدها، من أهم وأجَلّ اهتمامات العربي منذ فجر التاريخ.

فلا غرو إن وجدنا في مؤلفاتهم ما يشير إلى ذلك الصدد، فلديهم الكثير من المؤلفات التي تهتم بأنساب العرب، وأماكن وجودهم، ورحيلهم وتمركزهم[٣].

وعليه فإن فكرة النسب والأصول، وجينات القبلية هي معيار وأساس الحكم على الإنسان عند العرب.

ونخلص من ذلك إلى أن مفهوم الجينالوجيا عند العرب هو ذلك العلم الذي يهتم بالبحث في أصول القبائل وتاريخها وتطورها.

الجينالوجيا عند الغرب:

الوقوف على معنى الجينالوجيا عند الغرب يحتاج إلى وقت طويل لمعرفة هذا المعني واستخلاصه من ثقافات تتفق في جوانب وتختلف في أخرى، إلا أن

---

(١) لمزيد من التفصيل أنظر: مجلة فصول – ع ١٠٥ – ط – مجلد ٢٧ – ص – ١٥ – ٢٠١٩م.

(١) المستدرك على الصحيحين " كتاب الأطعمة " – للإمام الحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري- وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي – رحمهما الله – المكتبة الوقفية – ج٥ – ص ٢٢٤ – دار المعرفة – بيروت – لبنان.

(٢) هناك الكثير من المؤلفات التي اهتمت بأنساب العرب وتاريخهم، منها على سبيل المثال – لا الحصر – ما يلي: (جمهرة أنساب العرب -لابن حزم الأندلسي، فتوح البلدان- للبغدادي ، كتاب الأنساب- للسمعاني ، المؤتلف والمختلف- للدارقطني ، جهرة النسب- لابن الكلبي ، تاريخ الرسل والملوك- لمحمد بن جرير الطبري، الطبقات الكبرى – لمحمد بن سعد البغدادي).

الثابت فكريا ومعنوياً أن كتاب **"نيتشه"** المعروف بـ **"جينالوجيا الأخلاق"** يعد بداية للبحث عن أصل القيم الأخلاقية ونشأتها، أي البحث في علم أنساب المفاهيم والأفكار.

بمعني أنه يشمل محاولة فهم المفاهيم التي تشبعنا بها عبر ورودها إلينا، وهذه الافكار التي ورثناها، كيف وصلت إلينا؟ وما نسبة صحتها؟

هذا مع الوضع في الاعتبار أن كافة الأفكار والمفاهيم ذات طابع نسبي بين الأفراد والجماعات، فالأفكار والمفاهيم نسبية، وتختلف من مجتمع إلى آخر، وليست مقيدة للإنسان، وإنما هي جزئية يتوافق عليها البعض، ويهملها البعض الآخر، من حيث فكرة القبول أو الرفض.. مما يترتب عليه النظر إلى الجينالوجيا بوصفها منهجا نقديا، مثله مثل أي منهج يخضع للقبول أو الرفض.

وقد ترتب على ذلك الأمر كل هذا التعقيد المنطلق من قيامه على منهجية التفكيك التي تتطلب مساءلة الثنائيات، كالصدق في مقابل الكذب، والداخل في مقابلة الخارج.

ولعل "نيتشه" في كتابة " جينالوجيا الأخلاق" كان مسعاه أو مبتغاه الذي يهدف إليه هو الوقوف على أصل الأحكام الأخلاقية التي أطلقها الفلاسفة من قَبْل، وظلت هذه الأحكام تُنْقَل عبر الرواية من جيل إلى جيل حتى وصلت إليه.

وهنا يأتي دور الجينالوجي الذي أراده "نيتشه" بالبحث في كيفية تكوين هذه الأحكام عبر الزمن؟ والوقوف عليها وتفكيكها لبيان مدى ارتباطها بالتطور التاريخي أو مدى تحولها وصدقها من كذبها.

وقد وضَّح " ميشيل فوكوه" في كتابه "نيتشه الجينالوجيا والتاريخ" بأنه لا يقف على مقولات الميتافيزيقا، أو الوقوف على ما هو غير طبيعي، وإنما يريد أن يسبر غور الأشياء للوقوف على بدايات مختلفة يلتمسها في البحث في التاريخ، ومن هنا تصبح الجينالوجيا تاريخاً مضاداً للتاريخ كما يروى فوكوه. (١)

(١) لمزيد من التفصيل:
راجع المقال المترجم: ما الجينالوجيا – مارك بيفر – ترجمة وتقدي أحمد الشيمي – مجلة فصول – المجلد (١/٢٧) – العدد (١٠٥) – ص ١٥ وما بعدها – شتاء – ربيع ٢٠١٩م – الهيئة المصرية العامة للكتاب – جمهوية مصر العربية ٢٠١٩م.

ومن ثم تشابهت خطوات فوكوه مع نيتشه فكل منهما أسس أمره وفهمه للأشياء على أساس صراع القوى والهيمنة، أو لعبة الإدارة والحقيقة.

وعلى الناقد الجينالوجي امتلاك المهارة في التفكيك، فالحقيقة عنده (أي نيتشه) قائمة على أساس غير منطقي، وأن كل شيء قائم على الصراع بين القوى المختلفة في المجتمع، وما يستدعى الإنتباه هو ذلك التحذير الوارد على لسان نيتشه في كتاباته من أن "القيم السائدة مجرد أكاذيب وأوهام تبعث على النفاق" [١]

إن "نيتشه" بَعْدَما تعمق في دراسة الأصول التي أتت منها تلك القيم بشكل أدى عبر الدراسة إلى نسف المطلق "أي الثوابت" فالجينالوجيا تحاول الوقوف على كل ما يواجهنا من مشاكل، ولعل ذلك بدا واضحًا بعد انتشار ما يسمى بحروب الجيل الرابع والخامس، وما حيك من مؤمرات عبر هذه الحروب التي أدت إلى تحطيم كافة الثوابت، وظهور متغيرات لم تكن مألوفة من قبل في عالمنا العربي على سبيل المثال – لا الحصر-، وظهر أثر هذه الحروب فيما نتج عنها من دمار، وفيما أطلق عليه مجازا بثورات الربيع العربي، الذي كاد يقضى -في اعتقادنا- على ثوابت هذه الأمة وأصولها.

وإذا كان نيتشه يحاول أن يجعل من الجينالوجيا منهجًا معرفيًا مرتبطا بالتاريخية الراديكالية، مع الأخذ في الاعتبار أن التاريخ يتم فهمه "بوصفه صيرورة احتمالية، وبوصفه إطارًا يمكننا من فهم حقيقة المعرفة البشرية، ومعاني الأفعال الإنسانية، وبهذا تختلف التاريخية الراديكالية عن التاريخية.

<u>جينالوجيا النص:</u>

إن التاريخية Historicism معروفة بمعناها التطوري للأشياء، وهو منحنى يتسق مع العلوم الإنسانسية، في حين تتجاوز التاريخية الراديكالية حدود الفهم الفلسفي للأشياء اتكاء على نظريات الاحتمال والجدل.[٢]

وهكذا تبدو الجينالوجيا عند "نيتشه" عبارة عن " لعبة لا تنتهي من التأويلات تتستر خلفها دائما إرادات القوة التي تفرضها، وما عالمنا البشري، والثقافي، والفكري، بما فيه من أحلام وأوهام وتناقضات إلا نتاجا لهذا التناسخ للتأويلات المتراكمة عبر العصور، والتي تخفى وراءها دائما إرادة القوة، ووحدة

(٢) السابق ص ١٦
(٢) نفسه- ص ١٦

الوقوف على هذه "الحقيقة" والاعتراف بها، يمكن أن يساعد في نهاية المطاف على كشف أن الفضاء الثقافي والفكري، الذي يتشبث به الإنسان ويتيه فيه ويتقلب، لا تناسق فيه ولا استمرارية ولا اتصال.(١)

ومع تطور المصطلح بعد "نيتشه" تحول مصطلح الجينالوجيا إلى مسألة تتبع أصول موضوع ما أو فكرة ما، وتقديم عرض تاريخي متسلسل لظهوره ونشأته وتطوره، وتبدو الغاية من وراء ذلك هي الرغبة في تبريره وإضفاء طابع المعقولية والمشروعية عليه، وتلك نظرة كلاسيكية، ومن ثم تحولت النظرة الحديثة للموضوع أو الفكرة متمثلة في انتقاده وإبراز طبيعته النسبية لغاية تتمثل في الحط من القيمة المعطاة لهذا المصطلح أو الموضوع أو الفكرة.(٢)

وبعيدا عن عرض الأعلام والفلاسفة الغربيين الذين اهتموا بهذا المصطلح بوصفه مصطلحا نقديا فكل ما ورد ما هو إلا محاولة للحفر في الماضي واستكشافه مع استقصاء الأسس التي تكونت عبرها ثقافة المجتمع وتوجهاته.

وأمام استنطاق الماضي والوقوف على ثوابته بشكل أو بآخر، دفع الأمر الفيلسوف الألماني **"مارتن هيدجر"** (١٨٩٩-١٩٧٦) إلى تبني فكرة أو الدعوة إلى تأمل حقائق الأفكار، معربا عن ذلك في كتابه **"الهوية والاختلاف"** عام ١٩٥٧م، من خلال طرح لامُتَنَاهٍ من الأسئلة، التي تَتَحَلَّل بداخلها إلى مجموعة من الأسئلة الأخرى، عبر سلسلة لامتناهية من الطرح والتفكيك.. إلخ، فقد أدى به الأمر إلى طرح مجموعة من الأسئلة لا يتوقف عندها طويلا، فسُرعان ما يعود "مارتن هيجر" إلى وضع مجموعة جديدة من الأسئلة يلغي بها ما سبق، ويصنع ذلك في سلسلة لا تتوقف من الأسئلة بشكل أقرب إلى – ما ذكرناه سابقا – "بثوب بينولوبي" تلك الأسطورة التي وردت في "الأوديسا" والتي تقوم فيها "بينولوبي" بصنع ثوب في النهار، وتعود لتفككه بالليل(٣)

(١) الجينالوجيا وكتابة تاريخ الأفكار – عبد الرزاق الدواي – ص ١٠ – مقال ضمن كتاب "جينالويا النص" الضبط وأسباب القوة في المسيحية والإسلام – طلال أسرة ترجمة وتقديم: محمد عصفور – مراجعة مشير عون – ومراجعة منى زاهد سويلمي – مركز هرمون للدراسات المعاصرة – الدوحة – قطر – سنة ٢٠١٧م.

(٢) لمزيد من التوضيح انظر السابق ص ٦.

(٣) انظر الأسطورة وحكايتها في: تاريخ الإغريق – خليل مطانيوس سارة – المجلد الأول – الطبعة الأولى – ص ١٧١ – دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع-سوريا- ٢٠١٧م.

وهو أمر شبيه بما أقدم عليه هيدجر في صنعه عبر شكل لا نهائي من المحاولات والأسئلة التي لا تنتهي ولا تقف عند حد ما من الحدود أو الأطر المعروفة.

تساؤلات قبل الدخول والوقوف عند النصوص:

ليست المسألة إذن بالامر الهين، وإنما المعرفة تتجلى عبر مجموعة من التساؤلات على النحو التالي:-

هل القيم السائدة في مجتمعنا العربي بها نوع من المغالاة أو الأكاذيب؟ فمثلا مبدأ القوة والصراع والحروب التي انتشرت في الجاهلية، وما وصلنا من هذه الممارسات هل هي من باب الخديعة أم المزايدة أم المغالاة في وصف الأشياء؟

وهل البحث عن الثوابت عبر الجذور التاريخية سيصل بنا إلى خرافات لا حصر لها؟

مثل "زرقاء اليمامة" على سبيل المثال -لا الحصر-، وأن كل ما وصلنا من قيم مجتمعية قد تحتوي بداخلها على أكاذيب وأوهام وخرافات؟ وليس هنا القصد التقليل أو التشكيك من الدراسات التي قدمت تفسيرا ميثولوجيا لأدبنا القديم.

وهل ما كتبه زهير عن السلام والمودة والتآخي ما هو إلى صورة مقابلة لصورة أخرى في مجتمعنا القديم معيارها القوة والهدم؟، وأن الأخلاق والكرم ما هي إلا مجموعة صفات عند بعض الناس، وليست ثوابت أساسية عند الجميع؟

وأن عمرو بن كلثوم عندما ينشد شعرا فهو يكتب عن جين القوة الذي يأمله أو يتمناه في قبيلته، فيأخذ من هذا الجين ما يلائمه، أو أن عنترة العبسي عندما يتكلم عن القوة فهو لا يقصد ما يتمتع به هو من صفات وإنما يتحدث عن صفة من المفترض أن ترتبط بسادة القوم لا عبيدهم؟

وإذا ما ابتعدنا عن مجتمعنا الجاهلي وتقدمنا إلى مجتمع أكثر تحضرا، ونقصد المجتمع العربي إبان الدولة الأموية، لوجدنا صراعا من نوع آخر يرتبط بتوجه أيديولوجي ظاهري متمثلا في صراع **"الخوارج – والعلويون – والحزب الأموي".**

وإذا ما تقدمنا بصورة أبعد تاريخيا فإننا سنتوقف عند أخطر الأدوار التي زلزلت كل قيمنا وتحولاتنا المجتمعية هو ما حدث في عام ٢٠١١م، من حروب الجيل الرابع والتي حاولت من خلالها جماعة ما التسلل والوصول إلى سدة الحكم

فعملت على " طمس الاهتمامات الحقيقية لدى الشعوب من خلال تقديم صورة مزيفة عن طبيعة هذه الاهتمامات، وأن السلطة تعتمد بشكل كبير وضمني على فكرة الأيديولوجيا بوصفها أداة رئيسة للهيمنة". (١)

وأن فترة ما بين (٢٠١١-٢٠١٢) انتشرت وزادت فيها الخدع والحيل لأجل الفوز بالحكم، وأصبح التوجه الأيديولوجي عاملاً من عوامل التأثير، وأداة من أدوات التشريح السياسي، ونقطة مهمة في بناء الدساتير الجديدة على مستوى البلدان التي انقادت وراء فكرة ما أطلق عليه مجازا بالربيع العربي.

لذا فإن الحديث عن نطاق السياسة بعيداً عن الأيديولوجيا كان أمرا محفوفا بالمكاره، وطريقاً ممتلئاً بالمزالق.

فقد ركزت السلطة الجديدة على الموضوعات الدينية وبعض حقوق المواطنة، ومحاولة اللعب على أوتار القانون المرتبط في بنوده بتوجهاتهم، وتحولت الدول إلى جماعات حزبية تقود كل جماعة قطر ما من هذه الأقطار عبر أفكار ذات توجه أيديولوجي.

وكل جماعة تحاول أن تصبح دولة، وبالتالي زاد صراع الهوية، وزادت فكرة المقاومة لهذا الفكر الأيديولوجي الذي يحاول فرض نفسه على المجتمع.

ومن ثم جاءت الأسئلة "الجينالوجية" التي لا حصر لها لتبدأ في تتبع هذا الفكر وصولا إلى هدم ثوابته التي لا تتفق مع تاريخ المجتمع.

ولكي بنين بعض التعاقبات الفكرية فسأضرب مثالا بسيطا عن تحولات الآراء بين الثابت والمتغير فعندما يقول الشاعر: (٢).

ما أرانا نقول إلا معارا ومعادًا من قولنا مكرورا

هو بيت من قصيدة لكعب بن زهير، وقد فسر الكثير هذا البيت على أن كل ما يرد من قول أو فعل قد سبقه إلينا شعراؤنا الأوائل، وقد اتفق كثير من النقاد في ذلك قديما وحديثا، بل إن الأمر قد جاوز ذلك في صحة "مكرورا" أم "مكرر" من حيث النواحي النحوية والبلاغية.

---

(١) الجينالوجيا: السلطة وفعل الكتابة – سايمون ديورنج – ترجمة عبد الرحمن طعمة – مجلة فصول – المجلد (١/٢٧) – العدد ١٠٥ – شتاء – ربيع ٢٠١٩ –ص ٣٨ – الهيئة المصرية العامة للكتابة – مصر ٢٠١٩م.

(٢) ديوان كعب بن زهير - حققه وشرحه وقدم له: الأستاذ على فاعور – ص ٢٦ - منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان- ١٩٩٧م.

بيد أن الثابت في ذلك من حيث التوضيح أن ذلك القول هو أمر مبتور، فبالبحث عن البيت ومتغيراته نجد أن سياق البيت في القصيدة ينحو منحي آخر، فهو بيت اقتطع من سياقه وتم توظيفه في قضية غير الموجَّه إليها.

فقد وظفه النقاد كما يقول "مصطفى رجوان" في قضية "أولية الشعر العربي"، فأخذ كل النقاد والباحثون يكررونه، وهناك من ينسبه إلى أبيه زهير بن أبي سلمى، لقد أخرج الدارسون والنقاد هذا البيت من سياقه إخراجا تاما، في حين أنهم لو عادوا إلى مساقه في القصيدة، لوجدوا أنه لا يتحدث عن الشعر مطلقا"(١)

يقول كعب بن زهير:- (٢)

إِنَّ عِرسـي قَـد آذَنَتنـي أَخيراً ... لَـم تُـعَـرِّج وَلَم تُؤامِر أَميرا

أَجِـهاراً جـاهَرتِ لا عَـتبَ فيهِ ... أَم أَرادَت خِـيـانَـةً وَفُـجورا

ما صَلاحُ الزَوجَينِ عاشا جَميعاً ... بَعـدَ أَن يَصرِمَ الكَبيرُ الكَبيرا

فَاِصـبِـري مِـثلَ ما صَبَرتُ فَإِنّي ... لا إِخـالُ الـكَريـمَ إِلّا صَبورا

أَيَّ حـيـنٍ وَقَـد دَبَـبتُ وَدَبّـَت ... وَلَبِسـنـا مِن بَعدِ دَهرٍ دُهورا

مـا أَرانـا نَـقـولُ إِلّا مُـعـارًا ... وَمُـعاداً مِن قَـولِنـا مَكرورا

هذه الأبيات كفيلة لأن نعاود قراءة ما سبق، والوقوف على آراء القدماء من حيث الثبات أو التغير، وهو ما تسعى إليه الجينالوجيا من طرح لأسئلة وتفتيت لكل الأقوال السابقة، وتبيان مدى حقيقتها وأهميتها.

فالثابت عند النقاد والدارسين أنها تتناول قضية **أولية الشعر العربي**، بيد أن الأمر خلاف ذلك، فالقصيدة وهذا البيت على وجه الخصوص يلخص قضية النزاع بين الزوجين، وأن كل ما يطرح من أقوال وحلول لمشكلتهما، ما هي إلا أقوال وحلول تم طرحها من قبل، ولا جديد على ما سبق، فكل شجار يتم بينهما تحدث من ورائه هذه الأقوال، وتلك الأمور دون تغيير أو تجديد.

---

(١) انظر: جينالوجيا النص الشعري العربي قبل الإسلام " مقدمات منهجية" – مصطفى رجوان – مجلة فصول – المجلد ٢٧ /١ – العدد ١٠٥ – ص٣٨٤ – شتاء / ربيع – ٢٠١٩م- الهيئة المصرية العامة للكتاب- ٢٠١٩م.

(٢) ديوان كعب بن زهير – ص٢٦.

ومثل هذه المسائل تدفعنا إلى أهمية النقد الجينالوجي، ومدى الفائدة المرجوة من تساؤلاته التي لا تتوقف عند حد ما، وأصبح دور الناقد الجينالوجي مُهِمًا من حيث القراءة وطرح الأسئلة ومعاودة القراءة والطرح من جديد، وهكذا في سلسلة متصلة الحلقات.

(مهمة الناقد الجينالوجي)

إن مصطلح الجينالوجينا بمفهومه الغربي، يتقارب في معناه مع المفهوم العربي، وهو البحث في الأصول والبدايات، فهي كلمة تشير إلى أصل مشترك، وأن كلمة (جينالوجيا) قاسم مشترك بين كافة الثقافات البشرية، على الرغم من تطوره بوصفه علما يبحث في الأصول إلى علم يدل على فرع من فروع علم التاريخ الذي يبحث عن أصول شجرة الأسرة، وانتماءاتها ونسبها فهو في النهاية علم يكاد لا تخلو ثقافة منه.

وعليه فإن مهمة الجينالوجي:

- هي البحث وراء الأشياء لإدراك ما خفي، والنظر في ماهية الأشياء.. ولعل ميشيل فوكوه عندما يصف التاريخ وتأويل الأفكار فهو لا يعتبر ذلك تجسيدا ولا نموا لفكرة الحقيقة التاريخية.

"فليس مرمي التاريخ الجينالوجي إذن هو استرجاع جذور هويتنا، وإنما هو على العكس تقويضها وتبديدها...، وإنه يسعي لإظهار كل الانقصالات التي تخترقنا"[1]

- البحث في أوجه الاختلاف بين المنظور من الروابط المنطقية لتسلسل الأفكار، والوقوف عند مضامين الأفكار ومقارنتها.
- عدم الوقوف عند تعاقب الأفكار بوصفها تطورا منطقيا ودقيقا للمعني.

إنما عليه البحث فيما يتصوره لهذا التاريخ من تعاقب عشوائي، قد يكون تعاقبا عبثيا لأفكار أو تأويلات تحل محل بعضها البعض أو تتداخل مع بعضها البعض، وقد يكون التنافر والاختلاف هو العلاقة الوحيدة التي تجمع هذه الأفكار فيما بينها.

(1) M. Foucault, Feudet Merxin Michel: Ditsetecrits, Tome.1966,. P564.

مع الأخذ بعين الاعتبار بأن التعدد والتفاعل والتداخل هو واقع تاريخي لا مناص من الاعتراف به، وهذا يعني أن أية فكرة تستمد دلالتها من أفكار أخري قريبة منها أو وجدت في عصرها، فلا توجد فكرة تعيش في عالم فرد، بل هي تتمدد بتلاقح الثقافات وتطورها على مر العصور.

فالفكرة إذا لم تجد قابلية للاستمرار فإنها تموت، إلا إذا حلقت بين الأجيال، وتطورت بتطور الثقافة والزمن.

- يجب أن يدرك الناقد الجينالوجي أن اجتهاد المؤول ما هو إلا اجتهاد نسبي، فالاختلاف في تفسير النص**"أي نص"** على أقوال متقاربة أو متضاربة، لا يقلل من قيمة الجهد المبذول لتحليل النص وكشف خفاياه وسبر أغواره.

وأن كل ما يقدم ما هي إلا رؤي نتفق حولها أو نختلف؛ بهدف الوصول إلى النص الغائب أو بحثا عن الحقيقة الغائبة، أو محاولة الوصول إلى عمق النص وجوهرته التي قد نفشل في كل تأويلاتنا من الوصول إليها.

فكل الأمور التأويلية تقوم على فرضية الاحتمال، وأن كل فكرة مكتوبة أو منطوقة تخضع للدلالة الاحتمالية، وهو ما يجعلنا نقف طويلا عند مفهوم التسلسل المنطقي لتاريخ الأفكار، خاصة أنه تاريخ يرتبط بفكرة المجادلة، مما يجعل مفهوم الاحتمال أو الرجحان هو المهيمن علي ناقد النص أو المشغول بالفكرة.

- علي الجينالوجي أن يدرك بأن ثقافة المجتمع لها دور كبير في الكشف عن موضوعات العلوم -أيا كانت- وعليه -أي الجينالوجي- الكشف عن الأفكار ومحاولة إعادة اكتشافها انطلاقا من أن الماضي والحاضر يمثلان الثابت والمتغير، وبينهما جدل كبير من حيث توليد الأفكار ومقارنتها.
- إن فكرة التفكيك التي ينطلق منها الجينالوجي تجاه النصوص يجب أن تكون بشئ من الحذر، فالأفكار-دوما- بينها ارتباطات، وهي ارتباطات لم تأتِ عشوائية، وإنما هي مرتبطة بتحولات ثقافية وأصول تاريخية.

وهو أمر يحتم على الجينالوجي استخدام مبدأ المعقولية في فرض الاحتمالات التي يبني عليها مساءلاته وتفكيكه للنص.

لذا فإن الناقد الحذق المتتبع لتسلسل تاريخ الأفكار سيقف على مضمون الفكرة من حيث قدمها أو حداثتها باعتبار أنه امتلك مجموعة من المكونات الثقافية والمعرفية التي زودته بحقائق وخبرات ميزته عن غيره.

ومن هنا فإن أية فكرة عند تأويلها تتدخل في حبكها وصياغتها مجموعة من العناصر يمكن إجمالها في الشكل التالي:

وعليه فإن كل النظريات ما هي إلا فكرة، قد تكون في البداية مجرد إشارة فكرية أو ثقافية، أو عبارة عن لمحة عابرة غير مقصودة، أو لم يتخيل من أطلقها أنها أمام المنعطفات والتحويلات التاريخية الكبري التي تحدث في تاريخ الحضارات الإنسانية، ستتحول إلي فكرة تأويلية، أو قاعدة أساسية حسب الفرع العلمي الذي تنتمي إليه.

مثال ذلك

موت المؤلف – موت القارئ

↓

هي فكرة لاقت رواجا عند من اهتم بكتابات بارت

↓

وهناك من أيد الفكرة، وهناك من عارضها وبشدة

↓

والناقد الجينالوجي لا يهتم بذلك إنما يهتم بتاريخ الفكرة أو تطورها

↓

ويبدأ في وضع الاحتماليات المتعددة مع البحث في تاريخ الفكرة

↓

ومن هنا تتداعي الأسئلة التي تزاحم بعضها البعض

↓

وتتعدد التساؤلات المختلفة المرتبطة بالتحول الزمني وتعاقب الحضارات، واختلاف الثقافات

↓

والنهاية قد يصل بنا الأمر إلى جذور تاريخية لوصف الفكرة

↓

قبل بارت

↓

فتجدها عند اليونانيين القدماء

↓

وقد نجدها عند العرب

↓

فعندما يقول "دعبل بن علي الخزاعي"

إنّي إذا قُلتُ بَيتاً ماتَ قائِلُهُ * * * وَمَن يُقالُ لَهُ وَالبَيتُ لَم يَمُتِ[1]

وفي موضع آخر يقول:-

يَموتُ رَديُّ الشِعرِ مِن قَبلِ أَهلِهِ * * * وَجَيِّدُهُ يَبقى وَإِن ماتَ قائِلُه[2]

فالباحث في تاريخ الأفكار لا يقف عند الفكرة التي طرحت على الساحة نقديا أو أدبيا في وقتها الحالي، وإنما عليه البحث في تطور الفكرة وأصولها فقد يجد لها جذورا تاريخية أو مقدمات لما يلتفت إليها الدارسون من قبل، وتلك مهمة ليست سهلة، وإنما تتطلب بحثا في شتي العلوم، والنبش في تاريخ الإنسانية، وهو ما يدفعنا إلى هذه التساؤلات، التي يمكن طرحها على النحو التالي:

من باب الحيطة والأخذ في الاعتبار أن البحث في تاريخ الفكرة وتطورها قد يصل بالباحث في النهاية إلى ترجيح رأي على آخر، ويصل في نهاية المطاف إلى أن الأمر قد يكون ثبوتا للفكرة وأصولها، أو يجد تنوعا واختلافا حسب نمطية أو حرفية التأويل عبر التحول الزمني، والاستخدام الدلالي لها، وعلى أية حال فإن **جينالوجيا نيتشه تهتم بالتأويل، وبالنقد، والتفكيك على نحو ما فهمنا.**

وهذا يعني أننا عندما نؤول نصا شعريا ما، أو نصا أدبيا، فإن التأويل ينزع عنه كل ما علق به من تبجيل أو تقدير أو قدسية تتعلق بالنص وقيمته إلا النص القرآني حيث إنه مُنَزَّهٌ عن كل نقص، ويتحول النص عند الجينالوجي إلى مجموعة من التساؤلات التي تنتهي غالبا برؤى تفكيكية تختلف من ناقد الي آخر، وعليه فإن كافة الثوابت النصية أو المفاهيم التي يطلقها النص تتحلل، ولم تعد لفكرتها أي مسوغ حيث إن التأويل يدفعنا إلى توجه آخر، وهذا يوحي بتغير تاريخ الأفكار، واختلافها من عصر إلى آخر... فعلى سبيل المثال - لا الحصر – فكرة السلم

([1])ديوان " دعبل بن على الخزاعي- دعبل بن على الخزاعي- جمعه وحقق وعلق عليه: عبد الصاحب الرجبلي- ص١٤٢- مطبعة الآداب- النجف- ١٩٦٢م.

([2])نفسه- ص ١٨٦.

والتعايش الأخوي التي نادى بها زهير بن أبي سلمى قديمًا منذ الجاهلية، تحولت مع تاريخ الأفكار إلى ما يسمى **"بالمواطنة"**، وأن القتل والنهب تحول إلى مفهوم آخر فهو **"الأخلاق والبقاء"**، وكل ذلك يبرهن على أن نيتشة في جينالينيته كان يسعى إلى كشف حقائق هذه الأفكار.

مع ملاحظة أن حقيقة التأويل لا تصل بنا إلى حقيقة أزلية، وإنما التأويلات من خلال تأويل الأفكار تنتهي دائمًا إلى تأويلات لا علاقة لها بالواقع، ولعل "ميشيل فوكوه" عندما تبنى منهج النقد والتحليل الجينالوجي خلفا لما قدمه "نيتشه" أكد على هذا القول السابق بعدم وجود معني أو حقيقة أولى نستطيع أن نصل من خلالها إلى تأويل الأفكار.

فكل تأويل مبنى على فرضية احتمالية وضعت من قبل مؤول ما، وكل تأويل يقودنا إلى مجموعة من التأويلات التي لا نهاية لها، فهي أشبه ما تكون بسلسلة متصلة الحلقات لا نتمكن من خلالها من الوصول إلى الدلالة الأساسية أو الأصلية للفكرة أو للنص الشعري، ومن ثم تأتي أهمية الجينالوجي التي تتمثل في البحث وراء الأشياء لإدراك ما خفى، والنظر في ماهية الأشياء.

لذا فإن ميشيل فوكوه عندما يصف تاريخ تأويل الأفكار فهو لا يعتبر ذلك تجسيداً ولا نموا لفكرة الحقيقة التاريخية["فليس مرمى التاريخ الجينالوجي إذن هو إسترجاع جذور هويتنا، وإنما هو على العكس تقويضها وتبديدها..، إنه يسعى لإظهار كل الانفصالات التي تخترقنا.][1]، وربما نتج بل إنه هو الناتج فعلا من جينالوجيا فوكوه، أنها خرجت عن سياق التاريخ، وجعلت من نفسها القائم الأوحد، والبديل الأهم للتاريخ.

ومن ثم قامت بتفكيك كل ما يتعلق بتاريخ الأفكار، وقامت على مساءلته وتفتيته إلى كثير من التأويلات للوصول إلى هدف سعت إليه هو أن الأفكار لم تقم على أساس منطقى.

فأظهرت الثغرات والتناقضات وجوانب الاختلاف بين الأفكار وتاريخها، وهو ما يوحي بوجود فراغ فكري نتج عنه تساقط القناعات حول كل ما ترسب ورسخ في حياتنا، وهكذا تم تفريغ الأفكار من مضامينها التي تشبثنا بها، وظلت في

(1) M. Foucault, Feudet Merxin Michel: Ditsetecrits, Tome.1966.P564.

حياتنا وحياة من سبقونا بوصفها دليلا على قيم وثوابت تاريخية لا يمكن التخلي عنها، أو محاولة تخطيها.

ومعني ذلك هو لفت الإنتباه حول كل ما ورد إلينا من تأويلات لا تستند على دعم ما أو مرتكز ما، وعلينا أن ندقق في الأحداث التاريخية، ونتوقف طويلا عند تاريخ الأفكار، مع العلم والأخذ في الاعتبار أننا لا يمكن أن نتمكن من تكوين صورة واضحة أو سليمة أو موضوعية عن أنفسنا أو أفكارنا أو تاريخنا فكلها مجرد جوانب تقريبية نعتقد أنها الأصح أو الأجمل أو الأوضح.

وعود على بدء فلم يقدم فوكوه جديدا لما ذكره نيتشه من قبل، فجينالوجيا تاريخ الأفكار عند نيتشه، وكل هالة القيم التي ورثناها، ليست لديه سوى لعبة لا تنتهي من التأويلات أو سلسلة لا تنقطع ومتصلة الحلقات من التأويلات التي خلفتها إرادات القوة التي تفرضها، ولو حاولنا استقراء تاريخ أفكار الأمم سنجد أن تاريخ أفكار السابقين إنما ارتبط ارتباطا وثيقا بإرادة القوة.

وهو ما يبرهن على أن ما تشبث به السابقون من أفكار لم تكن صائبة، فلا تناسق فيها ولا استمرارية، ولا اتصال، وأنها أفكار وجدت لفرض أمر واقع، والإ فكيف نفسر ما عُنِي بظاهرة الانفصال والتنافر والتي أتعبت كل المؤرخين محاولين التقليل من أهميتها، وهذا ما يحاول تفسيره أصحاب المنهج الجينالوجي في زماننا هذا.

فمثلا **"إدارة القوة"** نجد أنها عنصر أساسي في تقسيم المجتمعات منذ فجر التاريخ، وعلى سبيل المثال – لا الحصر- قسمت تلك الإدارة مجتمعنا الجاهلي إلى **"سادة وعبيد"** وكل ما ورد من تأويلات – في هذا الشأن – يستتر خلف هذا الأمر، وهذا ما جعل جماعة مثل "الصعاليك" تفرض قوة إرادتها من واقع ثقافتها التي آمنت بها، فقد رفضت كل قوانين الإرادة المجتمعية، واختارت لنفسها إرادة تحاول من خلالها تحقيق ما تؤمن به، أو ما تصبو إليه.

وهذا ما يدفعنا إلى القول: إن إرادة القوة وارتباطها بالنمط الثقافي هي التي تفرض واقعًا معينًا لا يعتمد على حتمية تاريخية، أو صيرورة دائمة، وإنما فعل القوة هو الأساس المرتبط بالإرادة، فلو حاولنا تفسير ذلك عبر واقع المجتمع العربي الجاهلي، نجد أنه مجتمع طبقي – على نحو ما بينا في الصفحات السابقة – والطبقية هنا ليست تاريخا واقعيا، وإنما إرادة القوة جعلت هذا الأمر مرتبطا بالثقافة

المجتمعية غير المستقرة، فكم من الحرائر تحولن إلى إماء بفعل إرادة القوة المرتطبة بثقافة القوة، والنيل من الآخر.

لذلك فثورة الصعاليك كانت ثقافة تُدْعي "بثقافة الرفض"، تلك الثقافة التي خرجت على كل ثوابت المجتمع – حينذاك – وفرضت ثقافة جديدة مغايرة لما مضى، يمكن أن نطلق عليها "إرادة القوة".

وهو ما حاول "نيتشه" أن يوضحه بالاستغناء أو عدم الاستناد إلى الحقيقة أو أي موضوع لا يؤدي إلى معرفة يقينية.

ومن هنا يمكن الوقوف على المعني الأساسي الذي كان يقصده **نيتشه** " من أن تاريخ الأفكار والقيم كله كان عبارة عن تناسل للتأويلات التي لا تحيل في نهاية المطاف إلى أي تأويل صحيح أو أصل أول، ولا إلى أية حقيقة عميقة، ....

وأن السر الكامن وراء جميع التأويلات وخلف " الحقيقة" التي تزعم تلك التأويلات الإفصاح عنها هو إرادة القوة، فما يستتر وراء كل تأويل ووراء كل معنى ودلالة هو هذه الإدارة". (١)

وقد عبر نيتشه عن ذلك صراحة عندما كتب "هل تريدون اسما لهذا العالم....، وحلا لجميع أسراره وألغازه؟ إنه إرادة القوة ولا شئ آخر غيرها." (٢)

إن نيتشه يخرج عن فكرة الأصول والثوابت في البحث عن البدايات عند كتابة التاريخ التقليدي للأفكار، ومحاولة البحث والوقوف على منبع الحقيقة وموطنها، فقد استخف بكل ذلك وتوقف كثيرا عند مفهوم " ليس هناك أي أصل نهائي على الإطلاق، بل ومن الإعلان صراحة أن هدف تاريخه "الجينالوجي" ليس هو استرجاع جذور هوية أصيلة مفترضة، وإنما هو بالأحرى تفويض فكرة الهوية ذاتها." (٣)

---

(١) جينالوجيا الدين – الضبط وأسباب القوة في المسيحية والإسلام – طلال أسد - ترجمة محمد عصفور – مراجعة مشير عون – بمراجعة عامة لمنى زاهد سوميلي – ص ٩ – مركز حرمون للدراسات المعاصرة – المنار الإسلامي – الدوحة – قطر – يوليو ٢٠١٧م.

(٢) نفسه – ص ٩ ويمكن الرجوع للاستزاده إلى:

Nietzsche, Lavolonde Puissance, Traduction de Genevieve Bianquis, Paris Gallimard – 1947 – 48, TomeII – P.146.

(٣) جينالوجيا الدين – مرجع سابق – ص ٩.

فالفكرة أساسا هي محاولة الخروج من عباءة التاريخ، والإستغناء عن كل إحالة أو استناد إلى الحقيقة أو إلى أي موضوع للمعرفة.

جينالوجيا الأخلاق المعنى والمعزى:

إن القراءة المتأنية لما كتبه نيتشه عن الأخلاق تقودنا إلى هدف واضح حاول نيتشه الوصول إليه وهو أن القيم السائدة في شتي المجتمعات ما هي إلا مجرد أكاذيب، ويظهر وجهها القبيح عند تعارض المصالح والمطامع الإنسانية، وهي قيم تبعث على النفاق أكثر من بعثها لجلاء الأمر فالصراع بين أنماط القوى المختلفة يظهر لنا النقيض أو الوجه المقابل لهذه القيم، وأن الوقوف على عتبات التاريخ يظهر لنا ما يسمى بنظريات الاحتمال والجدل.

ولا يكفي أن نتوقف عند مفهوم الجينالوجيا بكونها منهجا نقديا، فقد رفض النقاد بعض الجينالوجيات وخاصة التي تحاول المساس بمعتقداتهم أو ممارساتهم، إننا يجب أن نتوقف طويلا عند هذا الأمر فعلى سبيل المثال – لا الحصر – عند مفهوم الأولية، وهو ما يعني أن فكرة النسب الثقافي الذي يهدف إلى نسب الثقافات المعاصرة إلى ثقافات متعددة سابقة تكونت من خلالها ثقافتنا الحالية هو أمر فيه نظر، فهناك من الثقافات التي ألغت كل ما سبقها من ثقافات أخري، وأن فكرة ترابط الثقافات هي فكرة تم تأسيسها في العصور الوسطى، وهي فكرة يجب أن نتوقف عندها كثيرا؛ لأنها فكرة فاشلة " فمن المعروف جيدا أن إحياء الكلاسيكية، الذي يفترض أنه بدأ في القرن الرابع عشر، قد عمد إلى قمع سابقيه في أدب وثقافة العصر الوسيط"[1]

بل إن كثيرًا من الثقافات الحديثة التي أقامت عروشها على أنقاض ثقافات سابقة، أغفلت في بناء ثقافتها الإشارة إلى ذلك المنهج الجينالوجي الذي مكَّن كتاب عصر النهضة مِنْ الإبادة الشهيرة لحضارة عصور الظلام.

وأن معيار الهدم والبناء الذي اتبعه بعض كتاب ثقافات العصر الحديث خاصة فيما يلي الثورة الفرنسية ارتبط لديهم بفكرة المعيار الخاص الذي يلائم ما يهدفون إلى ترويجه.

(١) هل للثقافات جينالوجيا – رافاييل فالكو – ترجمة كرم أبو سحلى – مجلة فصول – المجلد ٢٧ – الجزء الأول – العدد ١٠٥ – ص ١٢٠ – شتاء/ ربيع سنه ٢٠١٩ – الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر – سنة ٢٠١٩.

فقد قدم **"جان سِزِنْك Jean Seznec"** ما يفيد بأن كتاب العصور الوسطى هم الورثة الثقافيون للقدماء بيد أنه أبدى ملاحظة مهمة تمثلت في **"أن"** تاريخ الآلهة الطويل " ليس تاريخاً للموت والبعث، بل للنقل والاستيعاب المستمرين إلى الثقافات الأوروبية المختلفة من العصور القديمة المتأخرة حتى عصر النهضة. مشيراً إلى أن الفرنسيين وخاصة أبناء القرن الثالث عشر قد آمنوا بأن إرث العصور القديمة كان إرثهم بموجب حق خاص، وهو أمر رأي سزنك ما يخالفه، حيث إن ثمة شعوبا أخرى قد ادعت نفس الشئ." (١)

والواضح البين أن الثقافات الحديثة والمعاصرة تشكلت من خلال هدم كل ما سبق ونسبته إليها وقامت ببناء كل ثقافتها عليها مدعية بإرثها لذلك التراث، وخرج علينا من ادعى بنسبه وانتمائه لثقافات سابقة مدافعًا عنها في الوقت الذي أشارت إليها ثقافات أخرى بازدرائها والنيل منها.

من هؤلاء – مثلا – الكاتب الأسباني **"بولوس أوروسيوس"** الذي يتباهي بكونه رومانيا أصيلا، وكذلك **جريجوري التوري، وإزيدور السيفيلي** الذين عدوا أنفسهم أبناء سلالة متميزة وليست سلالة بربرية. (٢)

هذه المحاولات التي تحاول التمجيد من السابقين ومحاولة إظهارهم بثوب لم يكونوا عليه، ما هي إلا محاولات رآها **"سزنك"** تضليلا للثقافة وتمييزها بما ليس فيها، فهذه المزاعم الوراثية التي تمجد الزهور بالنسب، ما هي إلا مزاعم ازدحمت بها كتابات العصور الوسطى، ولا تخلو هذه الكتابات بمعارفها الغزيرة من محاولة البرهنة والوصول إلى نتيجة غريبة يحاول كل كاتب من خلالها تفنيد وتبرير مزاعمه التي يدعيها، محاولا الوقوف على ذلك الماضي بكل خرافاته، ومستندًا على شهود وأسلاف منجبين له.(٣)

إن **"سزنك"** هنا يقف على كم الخرافات التي حاول الكتاب من خلالها البحث عن تبرير لكل الخرافات التي حاولوا تأصيلها والتي تُسَمّى ما ورد من حكايات خرافية بأسماء ليست حقيقية فهي تسمى بعض الأسماء التي وردت

(١) السابق – بتصرف – ص ١٢١.
(٢) نفسه – بتصرف – ص ١٢١ .
(٣) السابق بتصرف – ص ١٢١ وما بعدها.

حكاياتهم في الأساطير بالأبطال أو نصف إله... وهي أمور وهمية مثل ما ورد في الإلياذة والأوديسا، وحكايات حصان طروادة ... الخ.

وكل ذلك ما هو إلا خرافات إثنولوجية، يحاول الكاتب من خلالها دمجها وإلصاقها بخصائص الشعوب السابقة، وإضافتها إلى أخلاقياتها للوقوف على تفوقها على غيرها من الأجناس البشرية الأخرى.

إن مثل هذه الجينالوجيات الثقافية تظهر لنا ما لا حصر له من الخرافات الإثنولوجية، وهي خرافات تتراوح ما بين الكبر والصغر بحسب نوع وحجم ما يروي من حكاية أو أسطورة.

ومن هنا فإننا يجب أن نتوقف طويلا عند مثل أو كل هذه الخرافات المسنوبة "للأسلاف" لما لها من أثر بالغ على شكل الجينالوجيا الثقافية، وما نتج عنها من ثورة فكرية، وما أسس ونظَّر له رواد العصر الحديث عبر هذه الأنساق ومدى نسبتها الحقيقية لكل ما سبق. وكل ذلك يدفعنا إلى القول بأن الثقافات المعاصرة إنما قامت على نسخ لكل ما سبق من ثقافات سالفة تم التشكيك في أصولها وهدمها من قبل، وهو ما يثير التعجب من تلك الثقافات المعاصرة وفلسفاتها المختلفة.

إن الثقافات التي نشأت على أعقاب هدم الثقافات السابقة قامت على أساس عرقي -في المقام الأول – محاولة تخليد بعض الأجناس على غيرها من حيث العرق، والنوع، والجنس، محاولة زخرفة التاريخ وتشكيله عبر ممارسة قمعية للثقافات الأخرى، ومحاولة في الوقت نفسه إضفاء طابع كاريزماتي على الثقافة التي حاول التأصيل لها والارتباط بها، على أنها هبه إلهية، جعلتها أسمى من كل الثقافات الأخرى.

إن مشكلة الميراث الثقافي الذي حاول نيتشه التأصيل له عبر جينالوجيا الأخلاق، تجده منتشرا وبكثرة في مصطلحات علم الإجتماع، وهو ما نقله "محمد ماهر بسيوني" عبر ترجمته لمقال "جينالوجيا الثقافة" بمجلة فصول العدد ١٠٥ – المجلد (١/٢٧) شتاء – ربيع– ٢٠١٩م حيث يقول: هناك عدد من المصطلحات المستخدمة في علم الإجتماع تشير إلى الأصل الثقافي، أو أنماط وراثة التقاليد، وكلها تشير إلى أهمية المفهوم: التناسل الثقافي، والذاكرة الجمعية، والمعرفة الضمنية، ومجموعة الأدوات الثقافية، والعادات، والخطابات، والأطر المعرفية.

فمصطلح "جينالوجيا الثقافة" تم اشتقاقه من "نيتشه" عام ١٩٥٦م، واستخدمه "فوكوه" وتم التركيز فيه على الجذور الإجتماعية، والعواقب السياسية للأشكال الثقافية المستمرة، ويقاربان المشكلة بشكل شبه سيميوطيقي(١)

وقد اعتمد فوكوه في أنماطه التحليلية على البنيوية خاصة ما بعد البنيوية من حيث كونها صدارة السياسة التصنيفية، وقوة التسمية في الأصل الثقافي، أما "نيتشه" فهو على النقيض، فقد بدا مهتما أكثر بالذاكرة والوعي الذاتي، وفقدان الماضي، حيث إنه الأساس الذي تنطوي عليه بنية الروايات التاريخية التي تسمح للتقاليد أن تحمل سلطات مجهولة.

وهذا الأمر جعل جينالوجيا **"نيتشه"** تتعامل مع التغير الزمني في الحياة الاجتماعية على أنه أكثر تعقيدًا وإشكالية، ولعل ذلك ما دفع نيتشه إلى دراسة **"الأخلاق الغربية"**(٢)

لقد حاول نيتشه أن يقف عند **"مفهوم الخير"** ليس بوصفه شكلا مطلقا، ولكن بوصفه تشكلًا تاريخيًا فهو يدعو إلى مراعاة التراتبية بين الناس، وبالتالي تراتبية أخلاقهم، فما يعد فضيلة لبعض الفئات أو المجتمعات، قد يكون رذيلة عند آخرين، وهو أمر يتعلق بالنظر إليه من حيث رتبته ومكانته، ودوره في المجتمع.

فالحكم على الأشياء ومعياريتها من حيث "الحُسْنُ أو القبح، لا يكون من خلال من قام بطرح هذا الأمر، وأصدر حكمه عليه، أو من خلال من توسمنا فيهم ذلك الحسن، فالمسألة نفعية في المقام الأول، فكل من النبلاء والسادة وأصحاب المكانة الرفيعة والهمم العالية، هم من نَصَّبوا أنفسهم، واعتبروا أنفسهم وكل أعمالهم خَيِّرَةً وحَسَنَةً من جانب نَفْعِي لهم في المقام الأول، واعتبروا كل ما يخالف توجهاتهم بالأمر الدنئ أو الوضيع، فهم قوم استباحوا لأنفسهم الحق في خلق مجموعة من القيم، وحكموا عليها عبر مسميات قاموا بتسميتها تخدم مصالحهم وأغراضهم في نهاية الأمر.

(١) جينالوجيا الثقافة "نحو منهج السوسيولوجيا تاريخية للثقافة، أو سوسيولوجيا ثقافية للتاريخ – شاندرا موكيرجي – ترجمة محمد ماهر بسيوني – مجلة فصول – المجلد ١/٢٧ - العدد ١٠٥ – ص ١٤٣ – بتصرف – الهيئة المصرية العامة للكتاب – شتاء / ربيع – ٢٠١٩م.
(٢) نفسه – بتصرف – ص ١٤٣.

ولذا فإننا بعد سقوط الكلاسيكية الأوروبية، وانهيار عهد النبلاء والسادة، تحولت كل هذه القيم إلى خرافات، وتدهورت كل أحكام القيم الارستقراطية، وتحول الأمر إلى الضِّديَّة فكل ما كان خيرًا انقلب إلى العكس بعد قدوم الرومانسية وأحلامها في أوروبا.

وحتى يتضح المفهوم أكثر لنا، فإن فكرة الخير والشر، أو ما يطلق عليه بالفضيلة والرديئة، هي قوالب ضِدِّية، حاول نيتشه توضيحها من خلال النبش في الثقافات العابرة ليقف على اختلاف الثقافات، وتنوع اللغات، ومفهوم النفعية التي يحاول الوقوف عليها، وهو ما نطرحه عبر التالي:

فمن أجل إيضاح مفهوم ثنائية النبيل والوضيع وعلاقتها بثنائية الخير والشر عند نيتشه، لابد من الرجوع إلى الوراء قليلاً، حيث قام نيتشه بنفسه بنبش أولى تجليات هاتين القيمتين الأخلاقيتين داخل التجمعات الإنسانية، فقد كان الإغريق القدامي يُعَبِّرُون عن القيمة الأخلاقية العليا بمكلة **"arete"** والتي ترجمها الرومان بـ **"Virtus"** وتعني **"الفضيلة"**، فإذا سألنا هؤلاء عن السبيل الأخلاقي الذي ينبغي للمرء أن يسلكه فإنهم سيحدثوننا عن **"الفضيلة"** عوضا عن **" الخير"**، ولا ينبغي بأي حال أن تحمل معني الفضيلة لديهم على ما توحي به هذه الكلمة لدينا من معاني العفة والصلاح.(١)

وعادة ما ينتهج الناس بعض السمات الأخلاقية دون إدراك للطبيعة الاجتماعية لقيمهم فبعض المفكرين كما يرى "نيتشه" ينجذبون إلى الأفكار بدلاً من بعضها الآخر بسبب تكوينهم الاجتماعي، فهم كما شبههم "نيتشه" بأنهم جامعو العسل" أي أنهم ينجذبون لكل ما يرونه من أشياء حلوة من وجهة نظرهم، دون الوقوف على القيمة الحقيقية للشيء عبر تتبع مساره التاريخي واللغوي والثقافي، ومدى أبعاده الفلسفية المرتبطة به.

فيجب علينا أن ندرك ليس فقط الطبيعة الاجتماعية لتجربتنا، ولكن أيضا الحتمية الثقافية لكيفية تفكيرنا، ويمكننا القيام بذلك من خلال التحليل الجينالوجي،

(1) https:// bluenoqta.com 8, may – 2019.
الخير والشر – منشأ الأخلاق عند فريديرتش نيتشه – النقطة الزرقاء – ٢٠١٩/٥/١٨.

والكشف عن أصل أفكارنا وقيمنا، وآرائنا، واذواقنا، أو في حالته "أصل أفكارنا عن الخير والشر. [١]

ولا يتأتى ذلك إلا إذا استخدمنا مدرسة تاريخية "تمشكل كل ما يمكن اعتباره أصْلاً أوليا، ومصدرا لتطور البشرية، فالجينالوجيا تحليل هرمونيوطيقي تاريخي ضد ديالكتيكي، ومضاد للمثال الزهدي التقشفي بنية اختيار المصداقية النظرية، والعملية للأفكار والممارسات، وإنهائها عن طريق التحول، وإظهار مسالك جديدة لإثبات الحياة" [٢]

إن نيتشه هنا يعتبر الجينالوجيا شكلاً من اشكال التحليل، عبر وسائل النقد الهرمنوطيقي، ذلك النقد القائم على علم التأويل الذي يرتبها بالهرمنيوطيقا او الدراسات الفلسفية التي تعتمد على تطور دراسة نظريات تفسير فن دراسة وفهم ما يعرض علينا من نصوص، وكان المسألة تستدعي فكاً لرموز النصوص ومعانيها، وان معني الهرمينوطيقا هُنا أي المفسر أو الشارح للأمر.

وأن القصد من مفهوم "ضد ديالكتيكية" أي أن التفسير يمضى عبر أسس منطقية وبعيداً عن كل امور الجدل والمحاورة التي اعتمدتها الفلسفة اليونانية القديمة، من خلال تبادل الحجج والجدال بين طرفين دفاعًا عن وجهة نظر ما.

مع الأخذ في الاعتبار أن التأويل في ذاته هو عبارة عن عملية تاريخية "تعبر باستمرار عن المعنى المحتجز في الفهم، وعن معنى هذا الفهم لذاته، وبذا لا يكون الفهم محض تكرار للماضي، بل يسهم بمعني الحاضر. [٣]

زهير من نفعية الأخلاق إلى حتمية الوجوب:-

عبر تاريخنا الأدبي الممتد لقرون زمنية بعيدة، لم نتوقف طويلاً عند هذه الفكرة في دراسة نصوصنا "شعراً ونثراً"، ومدى خضوع النصوص إلى فكرة واحدة أساسية، مفادها "تناظر ثنائي"، فكل نص يحمل في طياته – باعتقادنا –

---

(١) جينالوجيا الثقافة – مجلة فصول – ع ١٠٥ – ص ١٤٤ بتصرف – ٢٠١٩م.

(٢) الجينالوجيا – "نيتشه، دولوز، وفوكو" – لينومولينا – ترجمة السيد إمام – مجلة فصول – ص ١٧٥ – المجلد ١/٢٧ – العدد ١٠٥ شتاء – ربيع سنة ٢٠١٩ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر سنة ٢٠١٩.

(٣) الحلقة النقدية – ديفيد كوزتزهوي – ترجمة خالدة حامد = ط ٢ – ص ٨١ – منشورات دار الجمل – بغداد سنة ٢٠٠٧م.

ثنائية كونية، تلك الثنائيات المتضاربة شكلت جانباً نفعياً لفئة ما على حساب فئة أخرى، وهو ما يمكن ان نطلق عليه "بالساده ومن دونهم" ، هذه الثنائيات شكلت وجدان كل فئة من الفئتين، وكان لها التأثير والأثر البيّن على النتاج الأدبي من حيث **"الحلال والحرام"، "العدل و الظلم"، "الحرية والقهر"، "الثواب والعقاب"، "السادة والعبيد"، "الحياة والموت"، "الجنة والنار"، "النصر والهزيمة"**، ... الخ من الثنائيات المتعددة والتي لا يمكن حصرها لتسلسلها الطويل عبر الأزمنة المختلفة.

والواضح الأهم ان هذه الثنائيات المتضاربة قد خضعت في تكوينها والعمل بها إلى أيديولوجيات مختلفة.

ومن ثم فإن غالبية النصوص المنتجة عبر العصور المختلفة خضعت لهذه الأيديولوجيا بشكل اعتمد على المقام النفعي أولاً، وبما يعود على فئة ما دون غيرها من الفئات الاخرى.

لقد توقف النقاد والدارسون عند شعر زهير، وجاءت أحكامهم المجملة واصفة شعره بأنه شعر الحق، والحير، والجمال، وانه شعر يتناول الاخلاق والفضائل، وما شابه ذلك من أحكام خضعت لمقاييس نقدية لا يمكن إنكارها، او التقليل من قيمتها.

ومن ثم جاءت هذه الدراسة حاملة لبعد جديد في شعر زهير، حيث إنها ستتوقف عن الجانب الجينالوجي الذي يطرح فكرة "الفعل الأخلاقي" ومضمون " الحكم الأخلاقي" وما الرؤية التي خاض من خلالها زهير فكرة تجسيد العمل، ومحاولة إبرازه في قالب شعري.

وعليه فإننا يجب ان نسلم بأن زهير تحدث عن القيمة ومدفوعات السلوك، حيث إنها تعد جزءًا من المجتمعات البشرية.

وكل ما ورد من معايير لقيم أخلاقية في مجتمعنا الجاهلي تؤدي دورا متميزا ومجسدا للفرق بين المفهوم الأخلاقي ومعياريته، وبين الفعل الأخلاقي والهدف منه.

فعلي سبيل المثال – لا الحصر – فكرة القتل أو الثأر عند العرب القدامى لا يمكن ان تدرجها ضمن إطار المفهوم الاخلاقي أو معياريته، حيث إنها ارتبطت بثقافة المجتمع حينذاك وأن كافة أنساقه الثقافية نتعامل مع قضية "الثأر" بوصفها

قضية حياة أو موت لما لها من أثار سلبية على النفس ولا بد من التخلص من هذه الآثار وهو ما اعتبره ديننا الحنيف "قصاص" ففعل العنف هنا ارتبط بقيمة أخلاقية سالبة، لأنها تؤدي للقتل المرتبط بالشرف والكرامة وأما كل ما ينتج عنها من ثقافة ذات نسق اجتماعي متمثلا في "الدية المجتمعية" فهي أحكام تقييمه توجهية أو قد تكون عاطفية.

ومن ثم فكل ما يطرح من احكام وصفية يمكن تقييمها على وجهين "صحيحة أم خاطئة.

وهذا ما يدفعنا للتفرقة بين الحكم الوصفي وغيرها من الأخلاق المعيارية الأخرى، فكل قاعدة أخلاقية معيارية هدفها التوقف عند حدود ومبادئ العمل الصحيح التي على البشر استخدامها في حياتهم بوصفها منهجاً صحيحاً لأنماط الحياة.

وهو أمر يوضح سر تعاقب القيم واختلافها من مجتمع لأخر، ومن حضارة لأخرى، ومن حقبة زمنية إلى غيرها.

وبعيدا عما ذكر من أوصاف في زهير وشعره ولغته، يجب أن نسلم بأن زهيرًا لم يتكلم في شعره عن "أخلاق المجتمع الجاهلي"، إنما هو يتحدث عن السمات الاخلاقية التي يجب أن يتحلى بها الفرد أو المجتمع فهو ينظر للأخلاق كقيمة يجب الحفاظ عليها، وكحكم يجب التمسك به.

إن زهيرًا عندما يتكلم عن الحرب إنما يحرك فيهم الجانب النفعي المرتبط بما سيعود عليهم من ترك الحرب، كالحفاظ على الأرواح، والمال، والتئام جروح القبيلة، والابتعاد عن أرملة النساء.. إلخ ذلك.

فهي نصائح مدحيه، وأمنيات يأملها، ويسعى إلى تجسيدها، طبقا لرغبته هو، وما يأمله فلم يكن المتجمع الجاهلي على وتيرة زهير بالسعي إلى تجسيد قيم الحق، والخير، والجمال، والشرف، والتسامح، والتواصل، وكل القيم التي كان يسعى إليها بوصفها قيما تؤدي إلى ثبات ركائز المجتمع.

وأن غياب هذه القيم الاخلاقية من نتائجها تدهور وتصدع المجتمع وانهياره، فبدون الاخلاق لن تقوم للمجتمع قائمة.

وكل ما سبق يدفعنا إلى القول: إن مفهوم الأخلاق بما تحمله من دلالات ومعاني قد تكون غامضة في حالة ما، وتدعو للحيرة في حالة أخرى، وتشعرنا بعدم

الوصول إلى معنى واضح حول العلاقة بين المفاهيم الأساسية ودلالاتها الفرعية، مع ما تحمله من تقاطعات دلالية واقعية وذلك لما طرحناه سابقاً من ثنائية الأشياء داخل المجتمعات واختلاف المفاهيم حول معاني هذه الثنائيات (الخير/ الشر- الحرب/ السلم – الامانة/ الخيانة – الحق/ الباطل- ... الخ ذلك).

وعلية فإن زهيرا لم يتناول أخلاق المجتمع الجاهلي آنذاك، وإنما حاول وضع صيغة للمعايير الأخلاقية وقيمها، وما محاولتي هذه إلا استجلاء للغموض الكامن حول ماهية الأخلاق التي يطرحها زهير عبر الشكل والمضمون.

إن زهيرا يتناول مفهوم العرف الأخلاقي يوصفه نظاما ذا قيمة لماهية السلوك البشري، مع الأخذ في الاعتبار ان العرب القدامى كانو مولعين بالخوض في الطقوس القبلية والأقوال الحكيمة.

وعليه فإن ما أتى به زهير هو إرشادات أخلاقية واجتماعية، ومجرد اقتراحات وآراء – لا نقلل من قيمتها – حاول من خلالها مخاطبة المجتمع بما يعرف ويألف، حيث إن القيم الأخلاقية بما تحمله من جماليات نفسية وروحية توجه الفرد – أيا كان – إلى التفرقة بين الحق والباطل، والوقوف على أوجه الخير والشر.

ومن ثم سعى زهير إلى محاولة وضع منهج مجتمعي يحوي صراطا للحق والخير وأوجه الجمال.

فالأخلاق "تعني الالتزام بالقيم والمبادئ الأخلاقية، التي توجه الإنسان نحو الخير والفضيلة وتحول بينه وبين الشر، وترمز إلى انتصار الجوانب الإيجابية في الإنسان طلبا للكمال، وتحقيقا للغايات السامية في الحياة، إنها نوع من الوعي بما ينبغي وبما يجب التماسا للجمال الأخلاقي والكمال الروحي (١) ومحاولة زهير في مجال الأخلاق إنما هي محاولة للبحث عن حل لحالة الفوضى والتصدع الأخلاقي، والانهيار المعياري داخل المجتمع الجاهلي، فهو مجتمع شكلت القبلية فيه ركنا مهما لدي حياة الفرد وتوجهاته، والتي ظهر اثرها في أشكال العنف والتعصب والكراهية والعدوانية تجاه الآخر لذا فإن زهيرا كان مسعاه الحقيقي وضع قواعد ومعايير أخلاقية في محاولة منه لتعديل وتوجيه وتغيير سلوكيات المجتمع.

(١) التربية الأخلاقية في منظور دوركايم ترجمة على أسعد وطفه – مجلة التربية القطرية – العد ١٧٠ – لسنة الثامنة والثلاثون – سبتمبر ٢٠٠٩م (ص ١٤٢ : ص١٥٦)

فالأخلاق وليدة المجتمع، وأحكامها هي عبارة عن أحكام اجتماعية في بنيتها وجوهرها ومصدرها ووظيفتها.

ومن ثم فإن الاخلاق لا تتجسد في قالب قَبَلِيّ ولا يمكن أن تكون خارجة عن أطر المجتمع، أو متعالية عليه، إنما هي طقس متطلب لطقوس المجتمع، وتجسيدا لمقتضياته الإنسانية.

تحولات جينالوجيا زهير:

إن الباعث الأساسي حول فكرة الخير والأخلاق عند زهير تنطلق من معيار نفسي قائم على فكرة أن الشر نقمة للبشر وأن الخير رحمة لهم، ومن ثم فكرة فإن الإنسان عليه امتلاك الخيرات بكل مصادرها، وبكل تنوعاتها ليحيا حياة كريمة، وكل ما تستقيم به حياة الإنسان يعد خيرا مثل "الحلال والحرام، والزرع والضرع، والماء والفئ، وهي أمور تقابلها أمور أخرى وتتماشى معها مثل حق الإنسان في الحياة أو ما يطلق عليه الآن بـ "المواطنة"، وكذلك "الحر والعبد" وهي ما تصفه الحضارة المعاصرة "بالمساواة" وهي أمور دعا إليها ديننا الحنيف منذ بدايات الدعوة الإسلامية.

وهذا بطبعه يقودنا إلى مفهوم "الواجب" ذلك المفهوم المرتبط بالضمير، فالواجب هو نداء الضمير، بل هو وظيفته الأساسية، حيث إن الواجب يفرض نمطا طبيعته القسر والإلزام في كل مجالات الحياة الأخلاقية، وهو إلزام قد يكون ذاتيا نابعا من ذات الشخص، أو خارجيا وهو كل ما ارتبط بالمجتمع ومعاييره، وتوجهاته.

ومن هذا المنطلق فقد تبدو رؤية زهير للأخلاق ونفعيتها مرتبطة بإرادة الفرد والجماعة، تلك الإرادة التي تأخذ على عاتقها وضع تشريع للقانون الأخلاقي ومفهومه.

إن شعر زهير ازدحم بكافة المعايير الأخلاقية المرتبطة بالجانب النفعي النتائج عن معيار أخلاقي ويمكن طرح ذلك على النحو التالي:

تعرض زهير في قصائد عدة للمديح، وخاصة ما عرف واشتهر به من مدحه للهرم بن سنان، والحارث بن عوف.

بيد أنه ربط بين المديح والجانب المجتمعي، وخاصة فيما يتعلق بالجوانب الأخلاقية لذا فقد طغى الجانب النفسي على الجانب العقلي في معلقته الشهيرة **(أم أوفي)**، فقد جعل منها شريطا سينمائياً ربط فيه بين ضراواة الحرب وانعكاس آثارها على المجتمع وبين ما يأمله هو من وضع قانون أخلاقي يمنع مثل هذه الحروب مرة أخرى.

وهنا تتجلي القيمة الجينالوجية من ماهية الأخلاق، فليس كل ما ورد على لسان زهير هو أخلاق الجاهليين، وإنما هو ما يأمله، ويتمناه من وراء ذلك المديح بوضع قيم أخلاقية جديدة، ووضع معيار جديد لماهية السلوك البشري لوضع حد لكل النزاعات التي لا طائل من ورائها هذه الرؤية التي تبناها زهير تطورت وتحولت وفق تطور المجتمعات والأمم لتصبح مبدأ مهما من **مبادئ الأمم المتحدة** تحت بند يعرف بمسمي **"التعايش السلمي"** بيد أن فكرة القوة طغت على هذا المبدأ، ولم تعد الأمم المتحدة قادرة على كبح جماح أهل القوة، وهي صورة معادلة لما كان في أيام زهير، يقول زهير: [(١)]

وَما الحَربُ إِلّا ما عَلِمتُم وَذُقتُمُ * وَما هُوَ عَنها بِالحَديثِ المُرَجَّمِ**
مَتى تَـبعَثوها تَبعَثوها ذَميمَةً * وَتَضرَ إِذا ضَرَّيتُموها فَتَضـرَمِ**
فَـتَعرُكُّمُ عَركَ الرَحى بِثِفالِها * وَتَلقَح كِشافاً ثُمَّ تَحمِـل فَـتُتئِمِ**
فَــتُنتَج لَكُم غِلمانَ أَشأَمَ كُلُّهُم * كَأَحمَرِ عادٍ ثُمَّ تُرضِـع فَـتَفطِمِ**

تعامل كثير من أساتذتي مع هذه الأبيات وتناولوا الجوانب المدحية فيها من حيث الجوانب السلبية الناجمة عن الحرب.

بيد أنه ينادي بالبعد عن تلك الهمجية التي جعلت منها أسَدًا مفترساً، وناراً تحترق كل شئ، وما تولد عن ذلك من خراب وشؤم.

فهى صورة توضح انتفاء الأخلاق داخل ذلك المجتمع مع انعدام الضمير، حيث إن الفوضى والهمجية وشعار البقاء للأقوى هو المهمين على هذه العقول، وهو ما ارتبط بوجدانهم واختلج بضمائرهم لفترات زمنية طويلة.

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى- شرحه وقدم له: على حسن فاعور- ط١- ص١٠٧- دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان- ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

والميثاق الأخلاقي كما وضحه التهانوي بأنه " كما ورد الخلق في اللغة، المادة والطبيعة والدين والمروءة، والجمع الأخلاقي، وفي عرف العلماء: ملكة تصدر بها عن النفس الأفعال بسهولة من غير تقدم فكر ورَويَّة وتكلف"[١]

إن ما يحاول طرحه زهير منذ آلاف السنين ورد متمثلاً في انفعاله وحبه للأمن والسلام، وهو مفهوم تطور مع مرور الزمن ليتحول إلى مفهوم يطلق عليه **"بالأمن والسلام الدوليين".**

ومن ثم فإن زهيرا لم يتوقف عند الأثار السلبية الناجمة عن الحروب، وإنما قدم لنا عبر معلقته قلادة منظومة من الحكم ذات القيمة العالية، والتوجه الأخلاقي المبني على الفضائل، وهو يشبه إلى حد كبير ما تطور بفعل الزمن إلى **"مجلس الأمن الدولي"** والذي يحاول فرض الجوانب السلمية والتعاونية، ووضع مواثيق التعامل بين الدول الآن، ويقوم على حل النزاعات أيا كانت بين الجماعات، وبين الدول في كافة المجالات.

ومن ثم فقط طرح أولاً ماهية الحرب، وعرج ثانيا على ما يترتب من نشوبها بين الأفراد والجماعات، وأبدى ثالثا فكرة الانهيار المادي والمعنوي بعد توقفها وانتهائها مظهرا للجوانب السلبية وراء كل ذلك. لذا جاء مديحه ليظهر الأثر الإيجابي من أصحاب العقول.

فهو لا يمدح **"هرم بن سنان، والحارث بن عوف"** فقط، وإنما تطرق إلى كل معاني المديح مثل الوفاء بالعهد، فكل من أوفي بعهده لا يجد ذما في حياته، وذلك في قوله:[٢]

وَمَنْ يُوْفِ لا يُذْمَمْ وَمَنْ يُفْضِ قَلْبُـهُ * إلَـى مُطْمَئِـنِّ البِرِّ لا يَتَجَمْجَـمِ**

وقد فطن زهير إلى الجوانب النفسية عند العربي القديم، لكونه مرتبطا بقبيلته فجعل تماسكهم قوة مطالبا إياهم بعدم تفكك عروة اتحادهم أيا كانت تلك الظروف التي يواجهونها، وهو ما يطلق عليه في يومنا هذا **" لجنة مواجهة الأزمات"** وكيف تتعامل مع أزمة ما وحلها، ووضع المعايير والثوابت التي تنجز

---

(١) كشاف اصطلاحات والفنون والعلوم – محمد علي التهانوي المعروف بمحمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي – حققه رفيق العجم، علي دحروج – الطبعة الاولى – المجلد الأول – ص ٢٣٥ – مكتبة لبنان – بيروت – ١٩٩٦م.

(٢) ديوان زهير – ص١١١.

الأمر، وتنهج السبيل الأسرع في القضاء على الأزمة وحلها، يقول زهير في ذلك[1]:-

وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُواً صَدِيقَـهُ * وَمَنْ لا يُكَرِّمْ نَفْسَـهُ لَم يُكَـرَّمِ**

إن حنكة زهير هنا دفعته إلى لفت نظر الإنسان ليس العربي القديم وإنما الإنسان في كل وقت، فعلى كل فرد أن يدرك حقيقة نفسه، ولا يسعى إلى إهانتها، أو يدفع الناس إلى الجرأة عليه والإساءة إليه، والنيل منه، وهو أمر ندركه ببساطة في عالمنا المعاصر من حيث وجود قوى عظمى، ودول لها حق الفيتو، وأخرى تقرر مصير الشعوب.

وعليه فقد أدى ذلك إلى ظهور التكتلات المختلفة منها التكتلات الإقتصادية وما يطلق بمصطلح **"النمور"** أو الاقتصاد الناشئ، ومنها التكتلات السياسية كظهور أحلاف، ومنها تكتلات عسكرية بين الغرب والشرق، ومنها تكتلات عرقية وتاريخية مثل **"الجامعة العربية "** .... الخ ذلك.

فما دعا إليه زهير تطور جينولوجيا بفعل الزمن وصل إلى ما طرحناه في الفقرة السابقة.

لقد كان زهير على وعي بما يطرح، فأمام الصراع البشري لابد للفرد أن يُقَدِّرَ قبل الخَطْوِ مَوْضِعَهُ، فأمام هيمنة بعض القوى لابد من المداراة في الأمور اتقاء لشر هذه القوى، والابتعاد عن مكرهم، وتجنب سبل الوقوع في شباكهم وهو ما يعرف الآن بمفهوم **"الحليف"**، ذلك الحليف الذي يتقى غدر الأخرين عن طريق المداراة، يقول زهير[2]

وَمَنْ لَمْ يُصَـانِعْ فِي أُمُـورٍ كَثِيـرَةٍ * يُضَـرَّسْ بِأَنْيَـابٍ وَيُوْطَأ بِمَنْسِمِ**

وقد سبق زهير بفكره ونظرته الثاقبة كل العصور، فلم يتوقف عند مفهوم **"الحليف"** وذلك لأن هذه الكلمة أو هذا المفهوم له ارتباطات أخرى تتمثل في "البذل والعطاء" وهو ما يعرف لدينا الأن بمفهوم **"الودائع والهبات والمنح"**، وهي أمور تُقَدَّم من الدول المانحة على وجهين :-

الوجه الأول: من حيث القوة وبسط الهيمنة ونصرة الحليف.

---

(١) نفسه – ص١١١.

(٢) ديوان زهير – ص ١١٠.

الوجه الثاني: من الدول ذات الاقتصاد المرتفع، قليلة القوة العسكرية، فإنها تمنح محاولة إظهار حسن المعاملة مع الأخر، أو نيل مكانة شرفية رفيعة تحفظ لها جوانب كرامتها، وتدفع بها أذى الآخرين عنها، ويتضح ذلك من قوله[١]:-

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِـهِ * يَكُـنْ حَمْـدُهُ ذَماً عَلَيْهِ وَيَنْـدَمِ**

فالودائع والمنح والهبات تتطلب من الدول الغنية أن تكون كريمة في عطائها، لأنها إن لم تفعل ذلك فسترى مردودًا سيئا، ولوما كبيرا على مواقفها، ولعل زهير كان على وعي حينما جعل انطلاق تلك الودائع وتبعاتها تبدأ من أقرب الناس لُحْمَةً من حيث **"الجوار والدين واللغة والتاريخ والعادات والتقاليد"** وهم الأهل في المقام الأول ومن بعدهم المجتمعات الأخرى؛ لأن الفرد بطبيعته تتحدد قوته وعظمته بعطائه لقومه وقوميته في المقام الأول، فإن فقد قومه وقوميته لن تنفعه الأمم الأخرى، فقد أصبح بين قومه منبوذا، وينطبق عليه المثل القائل" وَيْلُ للشجيِّ من الخَلِيِّ" وهو مثل يضرب تعبيرًا عن سوء مشاركة المرء لصحبه.

ومن ثم فإن هذا الشخص قد نُبِذَ بين أهله لسوء مواقفه حتى أصبح بين القوم كالمطلي به القار بين الناس أجرب"، وهو ما صرح به زهير في قوله: [٢]

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِـهِ * عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْـهُ وَيُذْمَـمِ**

فمن جاد ساد، ومن بخل رذل، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه، هكذا قال الحسن بن على رحمه الله، فكل من بخل على أهله مذموم، لذا يجب على كل أخ أن يظهر كرما لأخيه ولقومه..

لقد أقر زهير مبدأ مهما من المبادئ التي تنشب من أجلها الحروب والقتال، وهو الحفاظ على كينونة الوطن وهويته، فكرامة الفرد مرتبطة بهيبة الوطن ومكانته.

وذلك عبر قوله: [٣]

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاحِهِ * يُهدمْ وَمَنْ لا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ**

---

(١) المصدر السابق – ص ١١٠.
(٢) نفسه – ص١١٠.
(٣) ديوان زهير – ص ١١١.

هذا الأمر الذي دعا إليه زهير، وجدناه يتحول في عصرنا الحديث وتتغير سبله طبقا لإرادة القوة، ولاختلال ميزان القوي، فقد طبّقتْه الدول الكبرى تحت بند ظاهره الرحمة وباطنه العذاب، حيث دأبت القوي الكبرى على السطو والظلم تحت مبدأ أطلقوا عليه مسمى **" رعاية المصالح والمحافظة عليها".**

ولا يمكن أن نغفل عما سبق به زهير عصره وزمانه، فمع التحولات السوسيوثقافية، وتغيير الأوضاع الفكرية، واضمحلال ثقافات قديمة؛ لتحل محلها ثقافات جديدة طبقا لتطور الزمن ولتبدل مراكز القوي الدولية، أصبح على الدول ذات القوي المتوسطة أو الضعيفة أن تقبل بما يفرض عليها من المجتمع الدولي من خلال المبادرات والاتفاقيات، وعليها أن تنصاع لكل ما يقدم إليها من حلول، وخاصة وقت الحروب والأزمات.. وهو ما ألمح إليه زهير في قوله: [1]

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزُّجَاجِ فَإِنَّـهُ * يُطِيـعُ العَوَالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ**

إن جينالوجيا الأخلاق والبحث فيها عبر شعارائنا القدامى سيصل بنا إلى أفكار أخلاقية تطورت مع تطور الزمن، أو تبدلت صيغتها طبقا لإرادة القوة التي ألمحنا إليها وفندناها على صفحات سابقة في هذه الدراسة البحثية والأخلاق هي نمط ارتبط منذ قدم الإنسان، وذلك لضبط سلوكه وتوجهاته، وقد وجدنا الأبعاد الأخلاقية على كافة تنوعاتها موجودة بوجود الإنسان، وكل المجتمعات التاريخية القديمة على الرغم مما قرأناه عنها من وحشية وهمجية إلا أنها لم تخل من بعض الأساليب الأخلاقية.

وحتى لا يطول بنا المطاف فإن دراسة أشعار زهير ومحاولة البحث عن القيم الإخلاقية ومدي تطورها هي بمثابة دخول إلى عمق الفكر الإنساني، ومحاولة إيقاظ الضمير البشري من سباته، وإن القضايا التي طرحها زهير تحولت فيما بعد إلى أفكار تم تحويرها جينالوجينا وفق مستجدات ومعتقدات تطورت بتطور الأزمنة.

وفى النهاية إننا لا بد من عودتنا إلى تراثنا لاستخراج ما به من لؤلؤ لا صدأ بتحولات أو تغيرات الزمن.

---

(١) نفسه – ص١١١.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

١. ديوان " دعبل بن على الخزاعي- دعبل بن على الخزاعي- جمعه وحقق وعلق عليه: عبد الصاحب الرجبلي - مطبعة الآداب- النجف- ١٩٦٢م.
٢. ديوان زهير بن أبي سلمى- شرحه وقدم له: على حسن فاعور- ط١- دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان- ١٤٠٨ه- ١٩٨٨م.
٣. ديوان كعب بن زهير - حققه وشرحه وقدم له: الأستاذ على فاعور - منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان- ١٩٩٧م.

ثانيًا: المراجع العربية:

٤. تاريخ الإغريق – خليل مطانيوس سارة – ط١ – المجلد الأل – دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع – سوريا – ٢٠١٧م.
٥. كشاف اصطلاحات والفنون والعلوم – محمد علي التهانوي المعروف بمحمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي – حققه رفيق العجم، علي دحروج – الطبعة الاولى – المجلد الأول – مكتبة لبنان – بيروت – ١٩٩٦م.
٦. المستدرك على الصحيحين " كتاب الأطعمة " – للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري- وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي – رحمهما الله – المكتبة الوقفية – ج٥ – دار المعرفة – بيروت – لبنان.

ثالثًا: الكتب الأجنبية المترجمة:

١- الحلقة النقدية – ديفيد كوزتزهوي – ترجمة خالدة حامد = ط ٢ – منشورات دار الجمل – بغداد سنة ٢٠٠٧م.
٢- جينالوجيا الثقافة – مجلة فصول – ع ١٠٥– ٢٠١٩م.
٣- جينالوجيا الدين الضبط وأسباب القوة في المسيحية والإسلام – تأليف طلال أسد – ترجمة محمد عصفور– دار المدار الإسلامي – ليبيا- ٢٠١٧م.
٤- الجينالوجيا وكتابة تاريخ الأفكار – عبد الرزاق الدواي – مقال ضمن كتاب "جينالويا النص" الضبط وأسباب القوة في المسيحية والإسلام – طلال أسرة ترجمة وتقديم: محمد عصفور – مراجعة مشير عون – ومراجعة منى زاهد

سويلمي – مركز هرمون للدراسات المعاصرة – الدوحة – قطر – سنة ٢٠١٧م.
٥- جينالوجيا النص الشعري العربي قبل الإسلام " مقدمات منهجية" – مصطفى رجوان – مجلة فصول – المجلد ٢٧ /١ – العدد ١٠٥– شتاء / ربيع – ٢٠١٩م- الهيئة المصرية العامة للكتاب- ٢٠١٩م.
٦- الفلسفة الهوية والذات – مارتن هيدجر – ترجمة د محمد مزيان – مراجعة د محمد سبيلا – الطبعة الأولى – منشورات الاختلاف – الجزائر - ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م.
٧- في أصل الأنواع عن طريق الانتقاء الطبيعي – أو بقاء الأعراق المفضلة في أثناء الكفاح من أجل الحياة – نشارلز دارون – ترجمة إسماعيل مظهر – أكمل الترجمة د. محمود يوسف حسن – وتم نشرة بلغته الإنجليزية في نوفمبر – ط الناشرجون موزاي – ١٨٥٩م – وتم نشره بعد الترجمة تحت عنوان "علم الأحياء التطوري" – الناشر مكتبة النهضة – عدد صفحاته ٧٨٦ صفحه – بيروت – لبنان – ١٩٧٣م

رابعًا: الكتب الأجنبية:

8- Lucferry- Lapensee 68, Essais Sur L,anti – humanism Contemporain, Paris, Gallimard. 1985.
9- M. Foucault, Feudet Merxin Michel: Ditsetecrits, Tome.1966.
10- Nietzsche, Lavolonde Puissance, Traduction de Genevieve Bianquis, Paris Gallimard – 1947 – 48, TomeII .

خامسًا: المجلات والدوريات والمقابلات:

١١- التربية الأخلاقية في منظور دوركايم- ترجمة على أسعد وطفه – مجلة التربية القطرية – العدد ١٧٠ – لسنة الثامنة والثلاثون – سبتمبر ٢٠٠٩م.
١٢- جينالوجيا الثقافة "نحو منهج السوسيولوجيا تاريخية للثقافة، أو سوسيولوجيا ثقافية للتاريخ – شاندرا موكيرجي – ترجمة محمد ماهر بسيوني –

مجلة فصول – المجلد ١/٢٧ - العدد ١٠٥– الهيئة المصرية العامة للكتاب – شتاء / ربيع – ٢٠١٩م.

١٣- الجينالوجيا: السلطة وفعل الكتابة – سايمون ديورنج – ترجمة عبد الرحمن طعمة – مجلة فصول – المجلد (١/٢٧) – العدد ١٠٥ – شتاء – ربيع ٢٠١٩– الهيئة المصرية العامة للكتابة – مصر ٢٠١٩م.

١٤- جينالوجيا النص "ما الجينالوجيا" – مارك بيفر – ترجمة أحمد الشيمي – مجلة فصول – مجلد ٢٧ – الجزء الأول –العدد ١٠٥ – شتاء – ربيع – ٢٠١٩م – الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر – ٢٠١٩م.

١٥- ما الجينيالوجيا – مارك بيفر – ترجمة وتقديم أحمد الشيمي – مجلة فصول – المجلة (١/٢٧) العدد (١٠٥) –شتاء ربيع ٢٠١٩ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر – ٢٠١٩م.

١٦- هل للثقافات جينالوجيا – رافاييل فالكو – ترجمة كرم أبو سحلى – مجلة فصول – المجلد ٢٧ – الجزء الأول – العدد ١٠٥– شتاء/ ربيع سنه ٢٠١٩ – الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر – سنة ٢٠١٩.